الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

تجليات المدينة في رواية خويا دحمان لمرزاق بقطاش.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):

*- لعتامنة زينب

*- بوزغول أحلام

إشراف الأستاذ(ة):

بكاكرية هاجر

السنة الجامعية: **2015/2014**

دعاء

قال تعالى:« إقرأ باسم ربكَ الذي خلق* خلق الإنسان من علق* إقرأ وربكَ الأكرم* الذي علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم »

العلق1-5.

قال أحد الحكماء:

إن العلم بطيء اللزام....بعيد المرام...لا يدركَ بالسهام...ولا يرى في المنام...ولا يورث عند الآباء والأعمام، إنما هو شجرة لا تطلع إلا بالغرس....ولا تغرس إلا في النفس....ولا تسقى إلا بالدرس....ولا تنبت إلا بإدمان السهر وقلة النوم....وصلة الليل باليوم.

الشكر

قال تعالى:« ...لئن شكرتم لأزيدنكم... »

سورة إبراهيم الآية 07.

ربي لكَ الحمد والشكر على فضلكَ ونعمكَ وجودكَ، فلكَ اللهم الشكر على إتمام هذا البحث الذي كان بتوفيق منكَ والحمد للّه، وبعد:

نتقدم بشكرنا إلى من أهدانا بالأمل....من مهد لنا طريق العمل....من كان دوما الأسبق إلى النصيحة دون ملل....منه علمنا أن العلم فوق الجميع، وأن التواضع تاج لا يلبسه إلا الرفيع.

كما لا يسعنا وقد نسى لنا الشكر، إلا أن نتقدم بالشكر إليكَ يامن كان صبرها بلا حدود...وعطاؤها بلا قيود....يامن قدتنا بسديد نصائحها إلى بر الأمان...أقف أمامكَ وقفة شكر وامتنان...إليكَ أستاذتنا الفاضلة...."هاجر بكاكرية".

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر، إليكم أساتذتنا وخاصة الأستاذ "طارق بوحالة" الذي كان عونا وسندا لنا بنصائحه وتوجيهاته وتصويب أخطائنا فجزاه الله خيرا كل الخير.

وأيضا نتقدم بامتناننا وشكرنا وتقديرنا إلى من كانوا لنا خير عون وخير دليل، فشكرا للطالب "عبد الباسط طلحة" والطالبة "سعاد بوخش".

"زينب وأحلام"

الإهداء

يطيب لي أن أهدي زبدة الأفكار وثمرة قيام الأسحار وشقاء الأسفار، إلى كل اللذين كانوا لما احتجت ملبين:

إلى الذي قهر الصعاب وتحمل مشاق الحياة.

إلى الذي رباني فصرت بأخلاقي كالألماس.

إلى من علمني العطاء دون انتظار.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.

إلى من أحمل اسمه بافتخار.....إلى **أبي الغالي**.

إلى من أحبها الرحمان، وأنار قلبها بالقرآن.

إلى من ينبض قلبها بالإحساس.

إلى من سقتني بحنانها وعطفها.

إلى من جعلت الجنة تحت أقدامها.

إلى اللمسة المباركة الدافئة التي ترافقني في دربي.

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي....**أمي الحبيبة**.

إلى كل من كانوا لي ابتسامتي حيث كنت أبحث عنها، ومن كانوا دليلي حين كنت أسهوا، إلى من كانوا سندا وعونا لي، إلى من شاركوني ذكريات الماضي والحاضر وفي

المستقبل، إلى من يسعدوا لسعادتي وينألموا لأحزاني إلى إخوتي: "وحيد"، "حمزة"، "نذير"، "علي"، "هشام"، "ياسر".

إلى الروح التي سكنت روحي، ولملمت أحزاني، وضمدت جراحي، إلى نوأم روحي ومنبع قوتي وبهجة نفسي وزهرة عمري إلى أختي "مريم".

إلى كل أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي، وإلى كل أولادهم، كما أذكر ألف تحية وتقدير إلى الجد "مسعود" و "صالح" وإلى الجدة "زليخة" و"مسعودة" راجية من المولى عزوجل أن يحفظهم فأطال الله في عمرهما.

إلى كل من صادفتهم رحلتي في الحياة، إلى من تكاتفنا يدا بيد لنقطف زهرة تعلمنا، إلى من كانوا ملاذي، إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات، إلى ذكريات الأخوة البعيدة إلى صديقات دربي: "سعاد"، "عائشة"، "نادية"، "نعيمة"، "صليحة".

إلى كل من شجعني ولو بابتسامة مدت على وجهي آلام الإنتظار في سبيل تحقيق الإنتصار إلى كل زملائي وزميلاتي.

زينب

مقدمة

مقدمة

لقد تناول العديد من الباحثين والدارسين المدينة في روايتهم وذلك لما تحتويه المدينة من أهمية وقيمة فهي تتميز بالمناحي الحضارية، وعوامل الاستقرار البشري كما نجد ازدهار الآداب والعلوم والفنون فيها، وتملك المدينة هوية تحددها، وبالتالي تحدد هوية من يسكنها، ولهذا نجد الروائي يكتب عن المدينة التي يعرفها، ويعيش فيها ويشعر بالانتماء إليها، فهي مجال أكثر اتساعا للتشخيص والتخيل والتعبير وبلورة المعاني والدلالات، فهي مكان تجري داخله الأحداث والتي يستطيع الأشخاص من خلالها التحرك فيها إلى أبعد الحدود، كما أنها فضاء يمنح أفاقا أكثر تطلعا وتجسيدا للتحولات الطارئة على الذات الفردية خصوصا وعلى المجتمع عموما، لهذا نجد الروائي يتخذ مواقف متباينة من المدينة، وعلى نحوها مثلت المدينة عنصر إلهام للعديد من الكتاب والأدباء.

ودراستنا تتناول تجليات المدينة في رواية خويا دحمان لمرزاق بقطاش.

ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع لوجود بحوث على هذا المنوال ولوجود تجليات المدينة في الروايات الجزائرية، فما هي المدينة؟ وكيف وظفت المدينة عند مرزاق بقطاش ؟ وكيف تجلت المدينة في رواية خويا دحمان؟

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الموضوعاتي، وقسمنا بحثنا إلى مقدمة، وفصلين وخاتمة. تناولنا في الفصل الأول مفاهيم عامة تطرقنا فيه إلى: مفاهيم ومصطلحات حيث تناولنا، مفهوم المكان : لغة و اصطلاحا،وكذلك مفهوم الفضاء:لغة واصطلاحا، كما تطرقنا إلى مفهوم المدينة: لغة وإصطلاحا، والمدينة باعتبارها مكانا، والمدينة باعتبارها فضاءا .

أما الفصل الثاني: تجليات المدينة في رواية خويا دحمان لمرزاق بقطاش، فقسمناه إلى :

الأماكن المفتوحة في المدينة وهي: البحر، المرسى، الحي، الميناء،الشارع، والأماكن المغلقة في المدينة والمتمثلة في:البيت،السجن،المستشفى،المقهى .

وقد اعتمدنا على العديد من المصادر والمراجع في بحثنا نذكر منها: كتاب جماليات المكان "لغاستون باشلار" وكتاب بنية النص السردي "لحميد لحميداني" إضافة إلى كتاب المكان ودلالته في رواية مدن الملح "لصالح ولعة" وكتاب جماليات المكان "لغاستون باشلار" وكتاب دراسات في الأدب المقارن "للأخضر الزاوي".

وقد واجهتنا العديد من الصعوبات أهمها صعوبة التواصل مع أعضاء البحث.

وأنهينا بخاتمة سجلنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

مقدمة

في الاخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى أستاذتنا المشرفة **بكاكرية هاجر** على كل ما قدمته لنا من توجيهات ونصائح فجزاها الله عنا كريم الجزاء ورجاؤنا أن نكون قد وفقنا وإلا فحسبنا أجر الاجتهاد، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه المصير.

الفصل الأول: مفاهيم عامة

أولا: مصطلحات ومفاهيم.

1- مفهوم المكان.

أ-لغة.

ب- اصطلاحا.

2- مفهوم الفضاء.

أ-لغة.

ب- اصطلاحا.

ثانيا: المدينة باعتبارها مكانا وفضاءا.

1- مفهوم المدينة.

أ-لغة.

ب- اصطلاحا.

2- المدينة باعتبارها مكانا.

3- المدينة باعتبارها فضاءا.

أولا: مصطلحات ومفاهيم.

1 – مفهوم المكان:

يعد المكان تعبيرا عن مظاهر الواقع الاجتماعي، وهو عنصر مهم ومؤثر في حياة الإنسان كونه المجال الأرحب الذي تحتويه.

تعريفه.

أ– لغة:

جاء في **لسان العرب** المكان والمكانة واحد: مكان من أصل تقدير الفعل مفعلٌ، لأنه موضع لكينونة الشيء فيه، والمكان الموضع، والجمع أمكنة كقفال وأقفلة، وأماكن جمع الجمع، قال "ثعلب": يبطل أن يكون مكان فعالا لأن العربي تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك وتمكن بالمكان وتمكنه:[1] على حرف الوسيط، وأنشده سبويه:

لها تَمكَّن دُنْياهُمْ أطاعهمْ في أي نحو يميلوا دينَه يَهِلِ

قال: وقد يكون تمكن دنياهم على أن الفعل للدنيا، وقالوا: مكانك؟، الجوهري: مكنه الله من الشيء وأمكنه منه بمعنى، وفلان لا يمكنه النهوض، أي لا يقدر عليه، ابن سيدة: وتمكن[2] من الشيء واستمكن ظفِرَ، قال "**أبو منصور**" ويقال: مَكَنَني والأمر، تُمَكِنني فهو ممكن، ولا يقال أُمَكِنُهُ.

مما سبق نستنتج أن المكان يحمل دلالات مختلفة منها الموضع المشغول، ومنزلة الشيء والمكان هو موضع الشيء وكينونته، وجمع المكان هو أمكنة وأماكن كقولنا: قفال وأقفله فنقول: مكنه الله من الشيء بمعنى أمكنه، وتمكن من الشيء، أي وصل إليه وظفر به، وهذا ما يوضحه"**الطاهر أحمد الزاوي**" بقوله: "المكان هو الموضع، جمع أمكنة وأماكن، ومكنه من الشيء وأمكنته منه فتمكن، واستمكن".[3]

ب– اصطلاحا:

المكان هو: "المساحة ذات الأبعاد الهندسية، أو الطبوغرافية التي تحكمها المقاييس والحجوم".[4]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب (ضبط نصه وعلق حواشيه د. خالد رشيد القاضي) دار صبح وإذ سوفت، بيروت، ط1، 2006 ج13 ص157.

[2] المرجع نفسه، ص157.

[3] الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د ط، دن، ص581.

[4] حمادة تركي زعيتر: جماليات المكان في الشعر العباسي، كلية التربية، جامعة تكريت، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط1 2013، ص28.

من خلال هذا نلاحظ أن المكان هو عبارة عن مساحة لها أبعاد هندسية مثل الطول والعرض خاضعة في ذلك للحجم والقياس.

وقد أولى عدد كبير من العلماء والفلاسفة هذا المصطلح اهتمامهم منذ القديم، "**فأفلاطون**" كان اهتمامه واضحا بالمكان وعبر عنه باصطلاح فلسفي، فهو يعده الحاوي للأشياء.[1]

ويرى "**أرسطو**" أن لكل جسم مكانا خاصا يشغله، وعرفه "بأنه نهاية الجسم المحيط".[2]

مما سبق نستنتج أن المكان هو الحاوي للأشياء، وأن كل جسم مكان خاص به يشغله، وهو نهاية الجسم المحيط.

ونجد المكان في موضع آخر بأنه هو كل ما عني حيزا جغرافيا حقيقيا، وهو المكان الذي يمكننا الإمساك به، والدفاع عنه ضد القوى المعادية، وهو المكان الذي ينجذب نحو الخيال، لا يمكن أن يبقى مكانا لامباليا ذا أبعاد هندسية فحسب.[3]

كما أنه الفضاء الذي يصنعه الروائي من كلمات ويضعه كإطار تجري فيه الأحداث، وهو مكون أساسي من مكونات النص الحكائي.[4]

كما يعرف "**يوري لوتمان**" المكان فيقول: "المكان هو مجموعة من الأشياء المتجانسة[5] مثل الظواهر والحالات والوظائف أو الأشكال المتغيرة...إلخ، التي تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة (العادية مثل الاتصال، المسافة...إلخ

مما سبق نستنتج أن المكان عبارة عن حلقة من الاشياء المتشابهة من الظواهر والحالات والوظائف وغيرها، التي تقوم بينها علاقات تسبه العلاقات المكانية المألوفة مثل الاتصال والمسافة ونحوها، فغذا نظرنا إلى هذه الأشياء المعطاة على أنها مكان يجب أن تجرد هذه الأشياء من جميع خصائصها ماعدا تلك التي تحددها العلاقات ذات الطابع المكاني، فالمكان هو الحيز الإنساني الحاوي على قدر من العادات والتقاليد والأشكال المتغيرة والمكان الجيد هو الموصل الجيد لكل إحساساتنا.

---

[1] حمادة تركي زعيتر: جماليات المكان في الشعر العباسي، ص28.

[2] المرجع نفسه، ص29.

[3] غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالي هيلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 1984 ص31.

[4] عمر عاشور ابن الزيبان: البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2010، ص29.

[5] صالح ولعة: المكان ودلالته في رواية "مدن الملح" لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010 ص4.

إن المكان لا يمكن النظر غليه كبناء أجوف، وفراغ، وغنما ننظر غليه على أنه نشاط إنساني متصل بالسلوك الإنساني، متصل بالعواطف والمشاعر اللذين أقاموا فيه، إنه مستودع أسرارهم إنه تاريخ الإنسان.[1] وقد استطاع مرتض أن يوظف المكان توظيفا فنيا وجماليا، ونقل المكان من عالم تجسيدي إلى عالم الأشياء، فأصبح المكان يعبر عن عالم الأشياء.[2]

2- مفهوم الفضاء.

كون مصطلح الفضاء مساحة رحبة في مجال الدراسات النقدية وتحليل الخطاب فهو يعتبر من أهم المصطلحات التي اتجه الباحثون إليها خاصة بعد الحرب العالمية الثانية فجعله البعض منهم شغلا شاغلا ومبحثا أساسيا عنده، خاصة بعد إهماله من قبل البعض وهذا ما جعلنا نتطرق إليه.

أ- لغة:

نجده في **لسان العرب:** فضاء الفضاء: المكان الواسع من الأرض، والفعل فضا، يفضوا، فضوا فهو فاض...[3] وقد فضا المكان وافضى إذا اتسع، وافضى فلان إلى فلان، أي وصل إليه وأوصله، يعني صار في فرجته وفضائه، وحيزه، وقال "ثعلب بن عبيد" يصف نحلا:

شتت كثه الاوبار لا القرنتقي ولا الذئب تخشى وهي بالبلد المفضي

أي الهواء الذي لا شيء فيه...والفضاء الخالي الفارغ الواسع من الارض، يقال: أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء... ومكان فاض ومفض، أي واسع.[4]

من خلال هذا التعريف اللغوي، نلاحظ بأن مصطلح الفضاء له عدة دلالات ومعاني تحمل في طياتها مختلف العناصر المكونة للنص الادبي والروائي، فهو المصطلح الأصلي الذي يضم تحت جناحيه مصطلحات متقاربة وجزئية منه كالمكان والشخصيات، وهو المكان الواسع من الأرض، وأفضى شخص إلى آخر أي اقترب منه ووصل إليه، وهو الفراغ الواسع من الأرض وهذا ما يوضحه مختار القاموس الذي يعرف الفضاء بقوله:

"فضنا المكان، فضاء، وفضواً، اتسع، والفضاء بالمد، المساحة، ولما اتسع من الأرض".[5]

---

[1] الشريف حبيلة: الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الاردن ، ط1، 2010 ص24.

[2] محمد تحريشي: في الرواية والقصة والمسرح قراءة في المكونات الفنية والجمالية السردية، دار النشر، حلب، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، د ط،2007،ص32.

[3] ابن منظور: لسان العرب، ص269.

[4] المرجع نفسه، ص269.

[5] الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، ص581.

ب- إصطلاحا:

هو الحيز المكاني الذي تظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدة تتصل بالرؤيا الفلسفية، وبنوعية الجنس الأدبي، وبحساسية الكاتب أو الروائي[1] والفضاء في موضع آخر "هو الحيز الذي يضم الأشياء والأحداث"[2]، ويتصف بارتباطه باللغة، ليصبح لفظيا وجمعه لكل القيم الحسية الجمالية، اللمسية، الفلسفية...إلخ.

وقد عرفه "**غاستون باشلار**" بقوله: "أن الفضاء ليس مجرد أبعاد هندسية، بل إنه يحمل قيم حسية وجمالية تدفع بنا إلى التخيل والتذكر".[3]

بالإضافة إلى تعريف "**حميد لحمداني**" الذي فصل الحديث عن مختلف التصورات الموجودة عن الفضاء الحكائي، مستندا على عدة آراء حددت آليات دراسته وفق المفاهيم التالية، التي تبين أن مفهوم الفضاء يتخذ أربعة أشكال وهي:

1-الفضاء الجغرافي: ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي كما ذهبت إلى ذلك "**جوليا كريستينا**" حيث لم تجعله منفصلا عن دلالته الحضارية هو يتشكل من خلال العلم القصصي، بما فيه من شخصيات وأبطال حاملا معه جميع الدلالات الملازمة له، وهو مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال، أو نفترض أنهم يتحركون فيه.[4]

2- فضاء النص: ويقصد به الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها على مساحة الورق، ويشمل طريقة تصميم الغلاف، وتنظيم الفصول...وهو أيضا فضاء مكاني، ولكنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية، أو الحكاية باعتبارها أحرفا كتابية على مساحة الورق ضمن الأبعاد الثلاثة للكتاب.[5]

---

[1] بان البنا: الفواعل السردية، دراسة في الرواية الإسلامية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص21.

[2] إبراهيم جنداري: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2001، ص12.

[3] غاستون باشلار: جماليات المكان، ص31.

[4] حميد لحميداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط3 2000 ص62.

[5] عز الدين المناصرة: الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة، قراءة مونتاجية، دار الراية والتوزيع، الأردن، عمان ط1 2010، ص266.

3- الفضاء الدلالي: وهو الذي يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشا عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام.[1]

4- الفضاء كمنظور: وهو الذي يشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة الخشبة في المسرح.[2]

وبهذا يعتبر الفضاء الجغرافي والفضاء النصي مبحثين حقيقيين في فضاء الحكي، أما الفضاء الحكائي يمكن إرجاعه إلى موضوع الصورة في الحكي، والمبحث الرابع (الفضاء كمنظور) إلى موضوع زاوية النظر عند الراوي.

من خلال ما سبق نستنتج أن الفضاء يعد مكون من المكونات الأساسية في بناء الرواية وهو معيار لقياس الوعي الاجتماعي والثقافي، كما انه الأداة التي تضفي على الرواية أشكالا متنوعة من الفهم والتأويل، وتبرز أهميته في تشكيل النص الروائي، فالفضاء اتخذ أربعة أشكال لا يمكن التخلي عن أي واحد منها، فلكل واحد ميزته الخاصة به ودوره في بناء النص الروائي.

أما **جيرار جينت:** فقد تحدث عن فضائية اللغة في فاعليتها وقدرتها على تشكيل سياقات لغوية تتضاعف معانيها ودلالتها حقيقية أم مجازية، فالفضاء الروائي لم يوحد إلا بقوة اللغة[3] فهي التي تحرك الأحداث في إطار نسق بنيوي متكامل يتحرك جملة وتفصيلا، ويحرك بدوره الدلالات في مجالها الاجتماعي والثقافي، ليبحث على التفكير بجدية الموقف، وحقيقة الحدث.

مما سبق نستنتج أن فضاء اللغة قادر على تشكيل سياقات لغوية مختلفة، لها معاني متعددة ومختلفة، وهي قد تكون مجازية أو حقيقية، فهذا الفضاء الروائي لا يكون إلا بوجود قوة هذه اللغة فهي مصدر حركة الأحداث تدريجيا للبحث بجدية في الموقف والحدث.

ثانيا: المدينة باعتبارها مكانا وفضاءاً.

إن النصوص الإبداعية العربية بعامة، والجزائرية بخاصة شعرا ونثرا، تتحدث عن المدينة وسجلت الترابط المتين بينها وبين الإنسان وقد تناولت مواضيع كثيرة كالاغتصاب والاحتلال وغيرها، وتطرقت لتصويرها في فترات زمنية فالروائي يكتب عن المدينة التي يعرفها، ويعيش فيها

[1] صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشؤون للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ط2 2009 ص187.

[2] حميد لحميداني: بنية النص السردي ، ص63.

[3] المرجع نفسه، ص60.

ويشعر بالانتماء إليها، وقد أصبحت إشكالية المدينة الشغل الشاغل للعديد من الباحثين داخل الجزائر، وهذا ما جعلنا نتطرق إليها.

1- مفهوم المدينة.

أ- لغة:

جاء في **لسان العرب** في مادة "مدن": مَدَنَ بالمكان، أقام به، فعل ممات، ومنه المدينة وهي فعيلة، وبجمع على مدائن بالهمز، وَمُدُن ومُدُن بالتخفيف والتثقيل، وفيه قول آخر: أنه مفعلة من دِنْتُ أي مُلِكْتُ، قال "**ابن بري**": لو كانت الميم في مدينة زائدة لم يجز جمعها على مدنٍ، وفلان مَدَّنَ المدائنَ: كما يقال مَصَّرَ الأمصار قال: وسئل أبو علي الفسوي عن همزة مدائن فقال: فيه قولان، من جملة مفْعِلة من قولك دِينَ أي مُلكَ لم يهمزه كما لا يهمز معايش. والمدينة: الحصن ببنى في أسطحة الأرض، مشتق من ذلك، وكل أرض يبنى بها حصن في أسطحتها فهي مدينة، والنسبة إليها مديني، والجمع مدائنُ"[1] .

قال "**ابن سيده**" ومن هنا حكم أبو الحسن فيها حكاه الفارسي أن مدينة فعيلة، القراء وغيره: المدينة فعيلة، تهمز الفعائل لأن الياء زائدة، ولا تهمز ياء المعايش لأن الياء أصلية، والمدينة اسم مدينة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا نسبت إلى المدين فالرجل والثوب مَدَنيٌ والطير ونحوه مديني، لا يقال غير ذلك، قال "**سيبويه**": فأما قولهم مدائني فإنهم جعلوا هذا البنا اسما للبلد، ويقال للرجل العالم بالأمر الفطن: هو ابن بجدتها وابن مدينتها وابن بلدتها، قال "**الأخطل**":[2]

ربت وربا في كرمها ابن مدينة يظَلُّ على مِسْحاتِهِ يتَرَكَّلُ

مما سبق نستنتج أن المدينة تعني الإقامة في المكان والتواجد فيه، وهي الحصن الذي يبنى على الأرض، وجمع المدينة هو مدن، ومدائن وهي مدينة البني محمد صلى اله عليه وسلم، ويقال للرجل هو ابن مدينتها، وابن بلدتها وابن سرسورها.

وجاء في قاموس "**مختار أحمد الزاوي**": مَدَنَ: أقام، فِعْلُ ممات، ومنه المدينة جمع مدائن[3] ومدن، ومدن: أتى المدينة، ومدنَ المدائن تمديناً: مصرها، والنسبة إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم: مدني، ونمَدْيَنَ تنعم.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص52.

[3] الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، ص569.

مما سبق نستنتج أن المدينة مشتقة من الفعل مَدَنَ، الذي يعني الإقامة في المكان، ومَدَنَ المدائن: أي بناها ومصرها، وتَّمَدَنَ المُدنَ: أي انتقل من الهمجية إلى حالة الأنس والتأدب، وتخلق بأخلاق أهل المدينة، واكتسب الرقي العلمي والفني والاجتماعي والأدبي.

ب- اصطلاحا:

إن المدينة تمثل فضاءا جغرافيا، تضم مجموعة من البنايات يسكنها عدد معتبر من البشر يشتغلون في نشاطات ذات طابع تجاري وصناعي وإداري، أي تختلف عن القرية من حيث الطبيعة الاجتماعية والاقتصادية، وكدا من حيث العدد البشري ونوعية العلاقات، فالمدينة تنزع نحو الفردانية.

والمدينة خير مكان لها حدود هندسية، ولها دلالات رمزية واسعة، ضمت من خلال التوظيف الرمزي الفاعل لها[1]

كما أن المدينة مجموعة من المسافات[2] لها أبعادها الاجتماعية والنفسية والفكرية والسياسية. والمدينة هي المكان المقابل للقرية، فهي إذن منار دائم لصورة الصراع بين أمكنة متعارضة حضارية، وقد يتخذ هذا الصراع بعدا تاريخيا معقدا أيضا عندما يحدث اقتلاع الإنسان من المكان، كما أن المدينة كانت مركز السلطة الغازية، حيث تتجلى كل مظاهر الهيمنة اللغوية والاجتماعية والثقافية والسياسية، أي أنها مكان غريب للآخر لا تجد فيه "**الأنا**" الوطنية سوى النفي والتشوه والقهر والضياع.[3]

والمدينة مكان أساسي في تجربة الإنسان وعنصر تكويني شمولي جسد رؤية الشاعر والكاتب فنيا وتاريخيا، وهي موضوع مفيد لاستكمال دراسة جوانب هامة[4] .

كما أن المدينة تتميز بالمناحي الحضارية وعوامل الاستقرار البشري، فهي لا تقوم إلا بوجود هيئة اجتماعية، تتميز بسورها الذي يعني الأمن كملمح لوجود سلطة ونظام حكم ومن الناحية العلمية فهي عبارة عن سهل فسيح يحيط به الحرث من جهاته الأربعة، وتتميز بالخصوبة[5] .

---

[1] ساهر علوي حسن العامري: المكان في شعر ابن زيدون ، رسالة ماجستير جامعة بابل، 2008، ص37.

[2] الشريف حبيلة: الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصر، ص257.

[3] إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجا (1925-1962) ، د ط،2007، ص07.

[4] المرجع نفسه، ص08.

[5] إسماعيل سامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2007، ص345.

كما أن المدينة ملتقى قوى وطبقات متعددة، وأنها ذات تنوع في الأساليب الحياتية والمهنية[1] وتتميز عن القرية بكثافة وسعة الحجم السكاني، وتعدد الوظائف والاختصاصات وعدم اقتصارها على وظيفة واحدة، كما أن المدينة هي الشكل السكاني والاجتماعي المتطور عن القرية، والمتقدم عليها بخصائصه ووظائفه السياسية والاجتماعية والحضارية، فهناك عدة مدن منها المدن التجارية والصناعية وغيرها، كما هناك مدن تستمد أهميتها من كونها مصدر القرارات والاختبارات السياسية.[2]

والمدينة تعني فيها "الحضارة كلها" والإطار الذي يكثف كل "مشكلات الجنس البشري"[3] وهي الموطن الأكبر والأول لوسائل الاتصال والتجارب التكنولوجية والممارسات الصناعية والتجارية والحركات الفكرية والإبداعية، فضلا عن كونها المركز السياسي والإداري الأول وبذلك كله أصبحت المدينة باختصار الدائرة التي يتجمع فيها النفود بأشكال[4]، والمدينة هي سببا أساسيا كامنا وراء الكثير من التفسيرات لنشأة فنون وآداب عدة، وبلورة تجارب هذه الفنون والآداب، وصياغة آفاق تلقيها، سواء كان ذلك بأثر المدينة الإيجابي المباشر، أو بأثرها السلبي غير المباشر.[5]

مما سبق نستنتج أن المدينة مكان أساسي في تجربة الإنسان، ازدهرت فيه الآداب والعلوم والفنون والأفكار والمذاهب، وهي فضاء أكثر اتساعا وشمولية من فضاء القرية، وأكثر تقدما منه والمدينة هي بنية جغرافية ومعمارية واجتماعية المؤسسة على التبادلات التجارية والإدارية والتواصل الإعلامي، تملك هوية تحددها وبالتالي تحدد هوية من يسكنها، وهي المكان الذي يسود فيه العدل والأمن لكونها مقر السلطة الحاكمة أو من يمتلكها.

2- المدينة باعتبارها مكانا.

لقد اهتم الكثير من الروائيين بالمدينة باعتبارها مكانا تتمسرح داخله الأحداث، فالروائي دائما في حاجة إلى تأثير المكان، فلا يستطيع تصور وقوع الأحداث، إلا ضمن إطار مكاني معين فهو مصدر للأمكنة، وبفضلها تستطيع الشخصيات أن تتحرك في هذا المكان(المدينة) إلى أبعد الحدود.

---

[1] رزاق إبراهيم حسن: المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، د ط، 1984، ص16-17.

[2] المرجع نفسه، ص18.

[3] حسين حمودة: الرواية والمدينة نماذج مختارة من كتاب الستينات في مصر، شركة الأمل للطباعة والنشر، د ط، 2000، ص21.

[4] المرجع نفسه، ص21.

[5] المرجع نفسه، ص22.

تعتبر رواية "**بان الصبح**" "**لعبد الحميد بن هدوقة**" من أنضج رواياته، تدور أحداثها في مدينة الجزائر في أماكن متفرقة عديدة، تطرح قضايا اجتماعية متعلقة بالعائلات داخل مدينة الجزائر، وهي مدينة يطبعها الإزدحام، إزدحام المساكن والحافلات والمحطات، مما أدى إلى تشويه وجهها العمراني الجميل، وبالتالي طمست معالمها، ولم يبق منها شيء[1]، ومن الأماكن الموجودة في هذه الرواية نجد الشاطئ الذي تذهب إليه نصيرة وليلى لأجل الاستمتاع والراحة من ضوضاء المدينة، فكان هذا المكان يمنح لهما الهدوء والراحة[2] وانبهرت نعيمة بمناظر مدينة تيزي وزو، هذا المكان الذي يتخذ شكلا رائعا في نظرها، فالجبال المحيطة مخضرة زاهية وهي جبال جرجرة، كما يلاحظ الراوي على لسان دليلة ونصيرة في نادي الصنوبر، أن هذا المكان مريح من ضوضاء المدينة وصخبها يقول: "قضت دليلة ونصيرة فترة من الوقت أراحتهما من هرج المدينة وضوضائها"[3]، ويرى الراوي رؤية نصيرة للمدينة من على شرفتها فمدينتها صورة بانورامية بديعة.

وتوافق دليلة على هذه الرؤية للمدينة، فترى من جانبها أن المدينة جميلة من جميع الأماكن يقول: "بالليل جميلة جدا، شعرت البارحة وأنا أرى الجزائر من هنا كأنني أسبح في فضاء من نور جميلة جدا الجزائر من هذه الغرفة، وجميلة في الحقيقة من كل مكان".[4]

كما أن الصورة الطبوغرافية للمدينة في هذه الرواية **(بان الصبح)** لا تكاد تذكر إلا بعض الملامح، فنتيجة لتطور المدينة أصبحت تلك البنايات الأوروبية تبدو قديمة ومختلفة، فالهجرة الريفية إلى المدينة تفسد الشكل المعماري، فالفيلات صارت أحواشا.[5]

مما سبق نستنتج أن المدينة كمكان في رواية "**بان الصبح**" **لعبد الحميد بن هدوقة**، هي مدينة فيها عدة أماكن متفرقة داخل مدينة الجزائر، ذكر الراوي العديد من الأمكنة مثل البحر الغرفة...كما أنها مدينة يطبعها الازدحام، وهذا أدى إلى تشويه وجهها العمراني الجميل، مما أدى إلى طمس معالمها، وعلى هذا فالأمكنة فيها متنوعة وكثيرة، ولكل مكان في هذه المدينة دلالة خاصة به، وهي متطورة نتيجة للتغير الحاصل في شكلها، وبالرغم من ذلك فهي ما تزال تحافظ على بعض من عاداتها وتقاليدها التي لم تتخلى عنها.

---

[1] الأخضر الزاوي: دراسات في الأدب المقارن، صورة مدينة الجزائر العاصمة في الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال وعند ألبير كامو، دراسة فنية مقارنة، منشورات جامعة باتنة، د ط، د ن، ص53.

[2] المرجع نفسه، ص75.

[3] المرجع نفسه، ص75.

[4] نفسه، ص127.

[5] نفسه، ص47-49.

كما نجد رواية "**التفكك**" **لرشيد بوجدرة** تتناول المدينة كمكان أيضا، وهي أول رواية كتبها وتتطرق الرواية إلى عدة مواضيع من بينها موقفه من قضايا المدينة، وتؤطر الرواية مكانيا في مدينة الجزائر بمختلف أماكنها وحركتها وميناءها والعديد من الأماكن في لمدينة عامة[1]، ويدور جزء كبير من أحداث الرواية بصفة استرجاعية في أماكن تاريخية، وهذه الأماكن كلها يتم ذكرها. وهكذا نلاحظ تداخل المكان في هذه الرواية بالذات بشكل ملفت للنظر، أي تداخل المكان التاريخي الذي جرت فيه أحداث ماضية متعلقة بالطاهر ورفاقه، أو متعلقة بسالمة وأهلها وتتحرك الأشخاص الروائية في مدينة الجزائر وتأثر الطاهر كثيرا بمظاهر المدينة الخانقة من زحمة وضجيج الميناء، ووسائل النقل وقد أبدى رأيه فيها: "والمدينة ترى كل يوم ثيابها تضيق على جسدها والميناء يتكسر أجزاء".[2]

فالمدينة في رواية **التفكك** هي الميناء، هي أماكن الشغل، هي الحركة والازدحام، فصورة المدينة عامة قلقة مشوشة، لا تركز على شيء حتى تنتقل إلى غيره، فترسم لنا الميناء وتركز عليه، وهذه سالمة "تنتقد قدارة أماكن الميناء وكثرة أوساخها"[3]، وكأن الكاتب أراد أن يشير بهذه الصورة المهتزة لمناطق في المدينة إلى الفكرة التي طرحها في العنوان، وهي التفكك وفعلا الصورة مفككة، تعبر عن الوضعية القلقة في المدينة وهي ضبابية، سردت أجزاء ومظاهر وأمكنة كالميناء ومركز البريد، وهي مدينة منسية فقد أصبحت من الماضي والكاتب يشبه المدينة المزدحمة بامرأة تضيق ثيابها بسبب ضخامتها، وهي تتخذ الجهة الغربية من الوطن كمكان مرجعي للشخصيات مثل تلمسان والأصنام وسبدو[4]، وقد جعل الكاتب صورة الأحياء في هذه المدينة مشوهة، وهي تطوق المدينة، وهي مساكن الوافدين من الريف "وقد صدمت بعض مدن القصدير التي تطوق المدينة وتعطلت بعض آليات الميناء".[5]

مما سبق نستنتج أن المدينة كمكان في رواية "**التفكك**"، هي مدينة كبيرة وضخمة، بسبب اتساع أمكنتها، وهي مفككة وتصور لنا أماكن عدة مثل الميناء والمنزل والمكتبة الوطنية كما نلاحظ تداخل الأمكنة في هذه الرواية وتقطعها، وهي مدينة لا تسع أهلها.

---

[1] الأخضر الزاوي: دراسات في الادب المقارن، صورة مدينة الجزلئر العاصمة في الرواية العربية وعند البير كامو، ص12.

[2] المرجع نفسه، ص16.

[3] المرجع نفسه، ص51.

[4] نفسه، ص29.

[5] نفسه، ص16.

كما نجد المدينة كمكان في رواية "**طيور في الظهيرة**" **لمرزاق بقطاش** وهي تعالج موضوع مساهمة الاطفال في الثورة التحريرية إلى جانب لأهلهم، ويمثلون جميعا مجتمع المدينة، أي الثورة في المدينة وتدور أحداثها في مدينة الجزائر، ويصور الكاتب تصوير شامل لكل الأحداث والضغوط الاستعمارية على كافة الشعب في مختلف أماكن المدينة[1]، ومعاناة هؤلاء الأهالي في هذه المدينة، وتكلم الكاتب عن أحياء وسط المدينة التي تسكنها الأهالي: "سكان الحي يعودون من أعمالهم بعد يوم كامل من المدينة".[2]

كما نجد البطل في حي باب الواد الذي يتعلق فيه بأماكن معينة مثل شجرة الزيتون، وفي نظر الراوي تبدو له المدينة إلا منطقة محرمة على جميع الناس، إلا أصحاب الأعمال، وهي بالغة الخطورة فبعد انتهاء العمل يعودون إلى أحيائهم، كما نلاحظ البطل مراد أن المدينة مضطربة فالطبيعة تسودها الجدية ويتصف الناس بالكآبة.[3]

كما نجد "**البزاة**" الجزء الثاني من رواية "**الطيور في الظهيرة**" **لمرزاق بقطاش** تدور أحداثها أيضا في أحد أحياء مدينة الجزائر.[4]

فهي رواية متلاحمة أشد التلاحم في أحداثها وفي شخصياتها وفي أمكنتها والمؤلف لم يذكر اسم الحي الشعبي صراحة، وهذا المكان يتميز بالهدوء الكامل، فالمكان الذي تجري فيه معظم أحداث الرواية يقع إذن في الجهة الغربية للمدينة المحاذية للبحر، ويورد الكاتب أيضا أسماء بعض الأماكن القريبة مثل القصبة، السيدة الإفريقية وحي سانت أوجين، وسكان هذا الحي أغلبهم من الفقراء، ويسكنه العرب، وبعض الأوروبيين ولهذا نجد علاقتهم لا تتسم بالود، فهذه المدينة تتسم بالتوتر والقلق والخوف وخاصة عند إرغام التلاميذ من طرف سلطات الاحتلال بالعودة إلى مقاعد الدراسة، وهذا التأزم في الحي زاد من العمليات الفدائية داخل المدن[5] فأصبحت الدوريات العسكرية تطوف بها اكثر فأكثر، وتتحرش بساكنيه دون ما سبب ظاهر فنشروا الرعب والخوف في نفوس سكان المدينة وخاصة الحي، فهي مدينة يسودها القلق والتوتر وعدم الاستقرار.

---

[1] الأخضر الزاوي: دراسات في الادب المقارن ،صورة مدينة الجزائر العاصمة في الرواية العربية وعند البير كامو، ص16.

[2] مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1981، ص16.

[3] الأخضر الزاوي: دراسات في الأدب المقارن، صورة مدينة الجزائر العاصمة في الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال وعند ألبير كامو، ص126.

[4] أحمد منور: ملامح أدبية، دراسات في الرواية الجزائرية، دار الساحل، وزارة الثقافة ، د ط، 2008، ص175.

[5] المرجع نفسه، ص184.

مما سبق نستنتج أن المدينة كمكان في رواية "**طيور في الظهيرة**" و "**البزاة**" هي مدينة يسودها الاضطراب والقلق بسبب الدوريات العسكرية والاضطراب في المدارس، وكأنها منطقة محرمة على كافة الناس، إلا أصحاب الأعمال، فهي مدينة بالغة الخطورة والناس فيها تبدو على وجوههم الكآبة والحزن، وفيها أماكن عدة كالأحياء والبحر والغابة...إلخ، فنجد الشخصيات تتعلق ببعض هذه الأماكن.

3- المدينة باعتبارها فضاءا.

راهن الدارسون على أن المدينة باعتبارها فضاء تمنح أفاقا أكثر تطلعا وتجسيدا للتحولات الطارئة على الذات الفردية خصوصا، وعلى المجتمع عموما، بناءا على ما يوفره فضاء المدينة من مجال أكثر اتساعا للتشخيص والتخيل والتعبير وبلورة الدلالات والمعاني، فكانت تجليات الفضاء، المدينة في كثير من الأعمال الروائية، وكانت لهم مواقف محددة منها تباين بين الرفض والعداء والتضايق من المدينة والبعض عبروا عنها بالإيجاب.

إن المدينة كفضاء هي بمثابة سجن في رواية **خط الإستواء**" لـ "**الأزهر عطية**"[1] تسلب فيه الحريات، فهي فضاء يلتهم الجميع، بالنسبة لعلال، وينظر إليها نظرة سلبية وتشاؤمية على عكس أهل القرية الذين يرون أن المدينة حلم يتمنون الوصول إليه، والمنفذ الوحيد لكسر حواجز الظلم والقهر، فهم يظنون أنها الجنة، وعندما نتتبع مسار الشخصيات، علال وبومنجل...فهم يمثلون صورة مدينة الجزائر بكل أبعادها وطرقها وشوارعها، فبومنجل يرى أنه كان من الأفضل للمدينة ألا تكون جميلة حتى لا يحتلها الرومان والأتراك وغيرهم، ورغم تعلق "**علال**" بالمدينة إلا أنه يلجأ إلى الحي الذي يجد فيه متنفسه الوحيد بعيدا عن ضوضاء المدينة: "أنك يا علال تأتي إلى هذا الحي لأنك لا تجد فيه ساحات وشوارع، كما هو الحال في المدينة، ولأن الشمس كل يوم تغمره من الصباح إلى المساء"[2] فمن خلال احتكاكه وتعايشه بالمدينة عرف أشياء وخبايا كثيرة مختلفة: "يسأل عن المدينة ثم يجيب نفسه، إنها وحش كبير يلتهم كل شيء، وتسكنه العجائب، وعندما بدأت أكتشف منها بعض الجوانب المخيفة ولذلك بدأت نظرتي إليها تتغير"[3]، بالإضافة إلى "**السرجان**" الذي يود أن يعيش حرا في هذه المدينة وألا يكون لأحد فضل عليه، ويود أن يمشي فيها مرفوع الرأس.

---

[1] الأزهر عطية: خط الإستواء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1989، ص146.

[2] المرجع نفسه، ص147.

[3] الازهر عطية خط الاستواء ، ص148.

من خلال هذا نستنتج أن فضاء المدينة في رواية "**خط الإستواء**" هي بمثابة السجن الذي يسلب الحرية الكاملة، فهي فضاء ينظر إليه بسلبية كما أنها فضاء واسع وذلك من خلال الفضاءات التي وظفت من مثل الطرقات والشوارع وبذلك تكون وكأنها وحش كبير يلتهم كل شيء وهي مقيدة تجبر الإنسان المقيم بها للخضوع لأنظمة وقوانين، ولها جوانب مخيفة ومرعبة وسلبية ولكنها وظفت الفضاء/ المدينة بشكل كبير.

كما قامت "**أحلام مستغانمي**" بتوظيف فضاء المدينة في ثلاثيتها "**فوضى الحواس**"، "**عابر سبيل**" "**ذاكرة الجسد**" تقول في هذه الأخيرة: "وهكذا قضى دولا كروا عمره في رسم مدن مغربية لم يسكنها أحد سوى أيام، عمره في رسم مدينة واحدة هي قسنطينة"[1]، كما تقول: "أنت لا تدري كم الحياة مزعجة هنا وصعبة، إن الواحد لا تخلو لنفسه في هذه المدينة ولو لحظة حتى الكلام على الهاتف مغامرة بوليسية"[2]، فهي تقول أن المدينة سجن كبير، فهؤلاء الناس المتواجدون بها جهلوا الحياة في هذه المدينة صعبة ومزعجة، حتى صار الكلام مغامرة ومخاطرة، هذه هي الحياة في زمن السلطة القامعة.

مما سبق نستنتج أن أحلام مستغانمي وظفت المدينة كفضاء في ثلاثيتها "**ذاكرة الجسد**" "**فوضى الحواس**"، "**عابر سبيل**" فمدينة قسنطينة كانت فاضلة تحرسها الآثام، ويحكمها الضجر المتفاقم فكانت الحياة فيها مزعجة وصعبة وقد وظفت الفضاء في كثير من الأماكن كالجسر والشوارع وغيرها.

كما تناول "**عبد الحميد بن هدوقة**" المدينة كفضاء في روايته "**غدا يوم جديد**" وهي فضاء مفتوح، وقد كانت رغبة الشخصيات في هذه الرواية تطمح إلى تحقيق ما ترغب فيه في فضاء هذه المدينة وتخليها عن أي شيء من أجل العيش فيها، ف "خديجة" تخلت عن "محمود بن سعدون" وضحت بما كانت تكنه له من مشاعر في سبيل الوصول إلى فضاء المدينة ونعيمها، فقد كانت موزعة بين الشوق إلى نعيم المدينة وبين عواطفها نحو محمود، إنها تريد أن ترى الحياة بلا ليل ولكنها أدركت متأخرة أن العيش فيها يقوم على لفت التناقضات واختلال التوازن النفسي والصراع بين أفرادها وتغير المبادئ والقيم الفاضلة.[3]

---

[1] أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، منشورات أحلام مستغانمي، الجزائر، ط22، 2007، ص162.

[2] الشريف جبيلة: بنية الخطاب الروائي في روايات نجيب الكيلاني ، ص188.

[3] عبد الحميد بن هدوقة: غدا يوم جديد، منشورات الأندلس، الجزائر، د ط، 1992، ص129.

مما سبق نستنتج أن فضاء المدينة في رواية "**غدا يوم جديد**" نجد أن الكاتب ركز على الفضاءات المغلقة في المدينة أكثر من الفضاءات المفتوحة، فكانت الشخصيات تطمح إلى تحقيق ما ترغب فيه، ومن هذه الرغبات العيش في المدينة، والتمتع بمزاياها، لكن بعد الوصول والعيش فيها تصدم خديجة بواقع هذه لمدينة وما يوجد فيها من صراع والانحلال الأخلاقي وغياب الوازع الديني.

الفصل الثاني: تجليات المدينة في رواية خويا دحمان لمرزاق مقطاش

تجليات المدينة (بلاد سيدي عبد الرحمن)

أولا: الاماكن المفتوحة في المدينة .

1- البحر.

2- المرسى.

3- الحي.

4- الميناء.

5- الشارع.

ثانيا: الأماكن المغلقة في المدينة .

1- البيت.

2- السجن.

3- المستشفى.

4- المقهى.

تجليات المدينة (بلاد سيدي عبد الرحمن):

تمثل بلاد سيدي عبد الرحمان صورة المدينة في الرواية فأحداث رواية خويا دحمان تجري فيها، حيث تبدأ الأحداث منها وتنتهي فيها بكل ايجابياتها وسلبياتها، حيث نتعرف على الشخصيات الموجودة فيها وخاصة خويا دحمان التي تصور حياته الشخصية مع عائلته،و سنتطرق إلى هذه المدينة وما تحتويه من أمكنة مفتوحة ومغلقة والتي هي جزء لا يتجزأ من مدينة سيدي عبد الرحمن، حيث يمارس فيها الشخصيات نشاطاتهم المختلفة بكل حرية، وهي فضاء مشترك تمثل الوطن وتبرز معالمه وتكشف لنا عن الموجودات التي تتكون منها مثل المقاهي والأحياء والبيت، الشارع، البحر، الجامع...الخ.

وقد احتلها المستعمر وكانت محصنة بمدافع تحميها من الطامعين فيها، ولكن المستعمر استولى عليها وأذابوا تلك المدافع وصنع منها حصان على شكل حصان: "لو كانت لديك القدرة لإعادة تذويب ذلك الحصان النحاسي وإرجاعه إلى حالته الأولى، أي مجموعة من المدافع المنصوبة باتجاه الحر لكي تحمي بلاد سيدي عبد الرحمان من غارات المغيرين"[1]، وكان خويا دحمان من خلال نافدة بيته يستطيع رؤية بلاد سيدي عبد الرحمان من شرقها إلى غربها .

وكان يطلع على الأخبار من خلال هذه البلاد، وكانت ملجأه الذي يلجأ إليه كلما ضاقت به الأمكنة و الفضاءات الأخرى، فتجده يفكر ويبحث لإيجاد حل لمشاكله ومعضلاته: "أمضيت أسبوعا كاملا وأنت تتسكع في بلاد سيدي عبد الرحمان، وتتحدث عن حل لمعضلتك"[2]، فهي استقراره وراحته ولغيره: "كل من أراد الاستقرار في بلاد سيدي عبد الرحمان، شعر بالحاجة إلى أن يجيء بحاشيته معه"[3]، فالبعض ينظرون إلى هذه البلاد على أنها مكان موحش، بينما خويا دحمان اعتبر هؤلاء بأنهم مخطئون في حق هذه البلاد لأنهم كانوا يجهلونها كما مرت هذه البلاد بأوقات صعبة، مما جعل خويا دحمان يخاف عليها خوفا شديدا أكثر من خوفه على نفسه "وداعا يا بلاد سيدي عبد الرحمان كما عرفتها يا خويا دحمان، وفي الحقيقة فأنت ما خشيت يوما على نفسك مثلما خشيت عليها"[4]، وهو متعلق بهذه المدينة، فكلما غادر بلاده وذهب إلى مكان آخر إلا وقلبه كان متعلقا بوطنه فنجده في حرقة ولهفة، وهو يستعد للرجوع إلى بلاد سيدي عبد

[1] مرزاق بقطاش، خويا دحمان، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2000، ص100.

[2] الرواية، ص118.

[3] الرواية، ص119.

[4] الرواية، ص135.

الرحمان: "والشيء الذي ألمك أشد الإيلام وأنت تستعد للعودة إلى بلاد سيدي عبد الرحمن ذلك ما سمعته من الجمركي الفرنسي ".[1]

كما نجد ابنه محمد متعلق بهذه المدينة، رغم طول مدة بعده عنها، ولما تتوفر عليه بلاد الغربة من ملذات الحياة، فقد عاد إلى وطنه: "ابنك محمد مع إخوته المغتربين العائدين إلى بلاد سيدي عبد الرحمان"[2]، وعند وصوله طلب من أبيه أن يبحر به في أرجاء هذه البلاد: "فما عليك سوى أن تبحر بي في بلاد سيدي عبد الرحمان".[3]

مما سبق نستنتج أن مدينة سيدي عبد الرحمان مكان مفتوح، وهي تمثل المدينة التي تقوم فيها الشخصيات بأدوارها في هذه الرواية ومكان للهدوء والراحة ومقصد الكثير من الناس وتوجد فيها الكثير من الأماكن كالمقاهي، المسجد، البحر، الشارع، وهذه الأمكنة توفر لهذه الشخصيات الراحة والأمان والعمل.

تكتسي الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة أهمية بالغة في الرواية، وقد تناول مرزاق بقطاش هذه الأمكنة، وجعل منها إطارا لأحداث روايته ومسرحا لشخصياتها، والأمكنة لها دلالات وتصورات تجعل الرواية في حركة وحيوية، و قد وظفت صورة المدينة بنوعين من الامكنة أمكنة مفتوحة، تترك للأبطال حرية التنقل والذهاب والإياب داخل هذه المدينة، وهذه الأمكنة تساعد على الإمساك بما هو جوهري في الرواية، من خلال ما تمد به الرواية من تفاعلات وعلاقات تنشأ بين الشخصيات منها الأماكن العامة التي ترتادها الشخصية في أي وقت تشاء و وظف ايضا ألاماكن المغلقة التي تجعل شخصيات الرواية مقيدة، وحريتها مسلوبة، فنجد عدم توطد العلاقة بين الشخصية وهذه الأمكنة داخل مدينة سيدي عبد الرحمن، فهي تتنقل إليها مجبرة ومكرهة على ذلك، وبذلك نجد أن هناك أمكنة محببة وأمكنة مكروهة في هذه المدينة .

أولا: الأماكن المفتوحة في المدينة :

المكان المفتوح هو مكان خارجي لا تحده حدود ضيقة، يشكل فضاءا رحبا وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء، ويتجسد هذا النوع في المكان الطبيعي خاصة: "فهو المكان الذي تتدخل يد الإنسان في إقامته وتشكيله، ذلك أنه وجد هكذا منذ الأزل بصورته الخاصة بصورته وخاصياته

[1] الرواية، ص143.

[2] الرواية، ص147.

[3] الرواية، ص159.

وخواصه المميزة"[1]، ومن هذه الأماكن المفتوحة الموجودة في الرواية نجد: البحر، المرسى، الحي الميناء،الشارع .

1- **البحر :**

يوجد البحر في مدينة سيدي عبد الرحمن وهذا جعلها مكان سياحي بامتياز يقصده الناس من كل مكان، فبوجوده تكون هذه المدينة مكتظة بالزائرين مما يجعلها معروفة ويكسبها شهرة لما يتوفر عليه البحر من مزايا وأعطى للمدينة حرية التنقل من مكان لأخر، وهو مكان مفتوح يرمز إلى دلالات عديدة وأحاسيس نفسية متباينة ، فالبحر رمز للهدوء والسكينة من جهة ورمز للهجمات وعدم الاستقرار من جهة أخرى، ورمز للحياة بكل صخبها وهدوئها، و البحر لم يأت اعتباطيا أو جزافا في هذه الرواية، فهو يهيمن على كل أجزائها بكافة تفاصيلها، إنه المكان المفتوح على المغامرة والمعاناة والصراع وهو بمثابة أهم أمكنة الانتقال للعديد من الشخصيات في هذه الرواية: "فلم لا تقتدي بأولئك الذين عملوا الدهر كله في المرسى وفي أرباضه وفي عرض البحر؟"[2] "يوم خرجت بزورقك باتجاه الجهة الغربية من الخليج"[3]، "كنت تنظر أن يرجع على متن الطائرة، لكنه اختار العودة عن طريق البحر"[4].

كما أنه البطل الحاضر والمهيمن في هذا العمل الإبداعي، حيث تدور حوله معظم أحداث الرواية وتتمحور فيه الشخصيات الرئيسية والثانوية وهو رمز للحياة والموت معا فهو المكان الذي توفي فيه الأب وغاب من غير رجعة: "البحر أكله، ابتلعه، التهمه التهاما وأنت لا تدري أي بحر من البحار كان له شرف ابتلاع والدك"[5]، وهو المتنفس الوحيد والمكان الرحب الذي يأوي إليه "خويا دحمان" كلما ضاقت به الفضاءات والأمكنة الأخرى: "واختليت بنفسك على متن زورقك في المرسى لكي تتفهم ما جاء فيها"[6].

كما أنه ارتبط بالسفر والرحلات التي كان يقوم بها "خويا دحمان" على غرار أبيه، حتى أن بعض أصحابه يغضبون من إحدى سفراته لأنهم كانوا على علم بأن فجر الجزائر يوشك أن يطلع:

---

[1] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي. المركز الثقافي، الدار البيضاء المغرب، ط1،1990، ص70.

[2] الرواية، ص03.

[3] الرواية، ص05.

[4] الرواية، ص06.

[5] الرواية، ص12.

[6] الرواية، ص07.

"البعض من أصحابك تضايقوا من سفرتك تلك لأنهم كانوا على علم بأن فجر الجزائر يوشك أن يطلع"[1].

كما أن أخته حنيفة تغضب منه خوفا عليه من كثرة سفراته، مما يجعله يقسم لها أمام ضريح عبد الرحمان بأن لا يعاود السفر مرة أخرى، إلا أنه يتوق إلى البحر ويقرر السفر ويخلف يمينه: "انطلقت يا خويا دحمان رأسا إلى مسجد سيدي عبد الرحمان أسفل القصبة وأقسمت أن تلك السفرة هي آخر سفرة لك في البحر العريض، ولكنها عندما اطلعت على نيتك في السفر إلى بلاد الإنجليز كذبت ما سمعته من كلام وقسم أمام ضريح سيدي عبد الرحمان"[2].

وقد ارتبطت هذه الشخصية "خويا عبد الرحمان" بالبحر وأصبح هو جزء منها، وهي جزء منه وإحدى مكوناته، حتى أن الشخصية لم تعد قادرة على التفلت والفكاك من أغلاله فتظل في حاجة إليه يوميا: "ما الفرق إذن بينك وبين حبة من المحار أو قوقعة من القواقع البحرية؟"[3] وهو ما جعل الشخصية تطلق عليه أسماء وألقاب، وتلقي عليه التحية وكأنه إنسان يتحدث: "صباح الخير يا سيدي بحرون كيف حالك اليوم"[4]، لكنه مكتوب على جبينك أنك تشقى وتكد وتصابح البحر وتماسيه"[5]، وحين يخاطب الصناجة يقول لها يا سيدتي: "يتعين عليك يا سيدتي أن تعودي إلى البحر لتضطلعي بعملك على غرار ما كنت عليه في الزمن الغابر"[6] وهذا يدل على تورط العلاقة بينه وبين هذه الأدوات المتعلقة بالبحر، فهو يمثل له الذكريات الجميلة التي يتوق ويحن إليها فعندما شاخ شاخت معه هذه الأدوات فالصناجة كانت إحدى الشهود على تسريب السلاح من طرف "خويا دحمان" وإخفائه في البحر، فهي تمثل مستودع أسراره: "خرجت بزورقك باتجاه الجهة الغربية من الخليج وأخفيت داخل كيس من النيلون يضع قنابل يدوية ومسدسا من نوع 22مم، ثم وضعت ذلك كله داخل هذه الصناجة بالذات وأنزلتها إلى قاع البحر"[7]، هل أنت صادق في عزمك

[1] الرواية، ص91.
[2] الرواية، ص92.
[3] الرواية، ص03.
[4] الرواية، ص03.
[5] الرواية، ص03.
[6] الرواية، ص04.
[7] الرواية، ص05.

على ترقيع هذه الصناجة يا خويا دحمان"[1] "ما الذي يمكنك أن تناله بهذه الصناجة بعد إصلاحها".[2]

مما سبق نستنتج أن البحر أكسب المدينة أهمية سياحية وذلك من خلال أن المدينة أصبحت مقصد ووجهة كل شخص مما أعطى لها مكانة مرموقة، كما أكسبها أهمية اقتصادية وذلك بسبب الثروات التي تستخرج منه، كما وفر للمدينة الهدوء والراحة. وهذا الأخير أي البحر قد غزا الشخصية وأصبحت جزءا لا يتجزأ منه، فقد ارتبط ب"خويا دحمان" وهو الشخصية الرئيسية كارتباط الأب والابن، فقد أصبح قطعة منه وأصبح هو جزء مكونات الشخصية، فقد كان له أثر كبير على نفسية "خويا دحمان" فهو رمز للهدوء والسكينة وملجأ له وانعزاله على الفضاءات الأخرى إلى حد إلقاء التحية عليه وتشخيصه في هيئة شخص ناطق له أحاسيس ومشاعر ولسان يتكلم، فالبحر جعله يتعلق بالمدينة أكثر فأكثر وهذا يعطي للمدينة أهمية وقيمة كبرى إذ جعلت أهلها وغير أهلها يتعلقون بها وهذا بفضل البحر وما يتوفر عليه من مزايا جعلتها مقصدا .

2- المرسى:

تتوفر مدينة سيدي عبد الرحمن على المرسى وهو مكان لا نجده في القرية وقد وفر للأهل المدينة خدمات متعددة مثل إيقاف السفن القادمة من مختلف المدن وهذه ميزة أخرى أعطاها المرسى للمدينة، وهو مكان مفتوح يمتاز بالاتساع، وقد كان البعض يعملون فيه كحمالين للبضائع التي كانت تحملها السفن التي كانت ترسوا فيه ، فهو بذلك مكان للعمل: "فلم لاتقتدي بأولئك الذين عملوا الدهر كله في المرسى"[3]، كما ارتبط به خويا دحمان فقد كان يستعمله لإيقاف الزورق: "ثم نزلوا إلى المرسى هائجين مائجين واندفعوا إلى كابنية الزورق وهم يظنون أنهم قد عثروا على ضالتهم"[4]، كما أنه كان يستعمله للخلوة مع نفسه على متن زورقه في المرسى، فقد كان يجد راحته في هذا المكان "واختليت على متن زورقك في المرسى"[5]، تعلمت كيف تربط زورقك لكي لا ينقلب وترطم بأرصفة المرسى"[6]، "وها أنت تسحب الزورق إلى رصيف المرسى"[7]، "تعود إلى المرسى

[1] الرواية، ص05.

[2] الرواية، ص07.

[3] الرواية، ص03.

[4] الرواية، ص05.

[5] الرواية، ص07.

[6] الرواية، ص47.

[7] الرواية، ص72.

وتنظر إلى زورقك وهو منطرح على الرصيف"[1]، كما أنه المكان الذي ينزل منه المسافرين القادمين من مختلف الأمكنة على ظهر السفينة: "ابتعد الأن عن النافذة، السفينة لن تدخل المرسى إلا في المساء"[2]وهو المكان الذي سوف ترسوا فيه السفينة التي على متنها ابنه محمد العائد من بلاد الغربة: "السفينة لن تدخل المرسى إلى حوالي السابعة مساءا"[3]، وأبوه كان يعمل في المرسى أيضا: "كان أيامئذ يعمل في المرسى"[4].

كما أن خويا دحمان أصيب بالمرض في المرسى إثر محاولة إنقاض فتاة فرنسية أرادت الانتحار، فأصيب بنزلة من البرد، فيعتبر مكان مشؤوم اثر إصابته بتلك النزلة: "أصبت بنزلة البرد تلك في المرسى"[5]، "ألقيت بنفسك في مرسى الجزائر لكي تنقذ تلك الفتاة الفرنسية المغبونة"[6]، كما أن المرسى كان هو مصدر رزق له أيضا، فكان يسترزق منه: "فهاأنت ذات يوم في المرسى تسعى من أجل نيل رزقك"[7]، ومن المرسى كان ينطلق ويتجه ويبحر إلى مدن وبلدان كثيرة: "وها أنت في المرسى على متن سفينة إنجليزية متجهة إلى ليفربول"[8].

كما أنه المكان الذي استعاد فيه ما تعلمه في دراسته الابتدائية وإلقاء ذلك على الفتيان والذين ساعدهم وساندهم من أجل الإطاحة بالرمز الاستعماري وهو تمثال دوق أورليان: "أما أنت يا خويا دحمان، فجعلت تنأى عنهم بأفكارك، كان عقلك سارحا في أرجاء التاريخ"[9]، وكان الاستعمار يسيطر على المرسى وكان الشعب يتدمر وينزعج من قوانينه المزعجة: "ها هي الحركة تقوى في المرسى وفي البحر يا خويا دحمان، وها هو الأخذ والرد بل ها هي قوانينهم تصدر تباعا فتزعجك وتزعج غيرك من الصيادين"[10] .

كما حدثت له حادثة مزعجة بالمرسى عندما تلفظ بكلمة "السرية" فهذه الكلمة كادت تؤدي بحياته وهو لم يعلم بأن رجال الشرطة موجودون بالمرسى، مأخوذة على وجه السرعة إلى سيارة

---

[1] الرواية، ص74.

[2] الرواية، ص07.

[3] الرواية، ص50.

[4] الرواية، ص17.

[5] الرواية، ص53.

[6] الرواية، ص93-94.

[7] الرواية، ص74.

[8] الرواية، ص91.

[9] الرواية، ص100.

[10] الرواية، ص116.

من سياراتهم فهو لا يعلم ما هو السبب "تلك الحادثة التي وقعت لك في المرسى، تذكرها جيدا أختك ما زالت تستعرضها من حين لآخر"[1] .

كما أنه المكان الذي كان يلتقي فيه "خويا دحمان" بأصدقائه وأحبابه: "فلن يبكي معك أحد اللهم إلا تلك القلة القليلة جدا من أصحابك وأحبابك الذين تصادفهم في المرسى".[2] ، وقد أعطى المرسى للمدينة الاتساع في مساحتها وزادها جمالا وذلك من خلال السفن التي ترسو به ، ووفر لأهل المدينة العمل وهذا جعلها مقصدا للجميع .

مما سبق نستنتج أن "خويا دحمان" كان مرتبط في هذه المدينة بالمرسى، فهو المكان الذي ينطلق منه في سفراته من مدينة سيدي عبد الرحمن إلى مدن أخرى وهو المكان الذي يرسى فيه زورقه ويستعمله للخلوة مع نفسه والتفكير في أمور الدنيا وهمومها، وهو المكان الذي يسترزق منه ويعول عائلته من خلاله، وهو المكان الذي ترسو فيه السفن ، وخاصة السفينة التي على متنها ابنه محمد العائد من بلاد الغربة الى مدينة سيدي عبد الرحمن التي لم يستطع التخلي عنها.

3- الحي:

وهو موجود في مدينة سيدي عبد الرحمن فهو من أحد مكوناتها، وتوجد الكثير من الاحياء في هذه المدينة، ووجودها يذل على اِتساع المدينة، فهو يحتوي على المقاهي والمحلات وغير ذلك، وقد أعطى للمدينة أهمية فمن خلاله نستطيع التعرف على المدينة وما تحتويهِ، ويعد الحي مكانا مفتوحا، وهو يتميز بالانفتاح على العالم الخارجي، وهو المكان الذي يستطيع فيه "خويا دحمان" التعرف والاطلاع على مختلف الأحداث التي تجري في هذه المدينة مدينة سيدي عبد الرحمن: "وعندما رجع إلى بيته في العشية قيل له في الحي إن فلان قد لفظ أنفاسه"[3]،

كما أنه مكان للتجمعات السياسية التي كانت تجري في المقاهي الموجودة في أحياء مدينة سيدي عبد الرحمن، وكان "خويا دحمان" يعبر عن رأيه في السياسة في هذا الحي الموجود في مدينة سيدي عبد الرحمن : "وعبرت عن رأيك هذا خلال سهرة رمضانية في مقهى صغيرة من مقاهي حي القصبة"[4] .

---

[1] الرواية، ص122.

[2] الرواية، ص136.

[3] الرواية، ص47.

[4] الرواية، ص57.

كما أن هذا الحي جعل خويا دحمان يمر بمرحلة من المعاناة النفسية والحزن والعزلة والانطواء على نفسه إثر الفاجعة التي حلت على إخوته من الجزائريين بسبب الزلزال الذي حدث لهم في مدينة سيدي عبد الرحمن ، فرأى أولاد الفقيد هائمين في الحي يواجهون قساوة الحياة ومرارتها، فخشي على نفسه أن يرزق بأولاد ويموت في البحر في يوم من الأيام ويتركهم هائمين دون أحد يرعاهم: "أمضيت أياما وأنت في حالة نفسية مزرية فبعد أن أبصرت بأطفال عمي مزيان هائمين على وجوههم في أطراف حي القصبة"[1]، كما أنه المكان الذي تم القبض على "خويا دحمان" بتهمة أنه مشارك في الثورة التحريرية وأنه من المناضلين: فكيف يمكنهم أن ينهالوا عليك بتلك الطريقة؟ قلت ممازحا أصحابك فيما بعد إن رجال الأمن هجموا عليك وأنت لم تشعل الفتيل بعد"[2] .

ثم يذكر الكاتب "حي البحرية" الذي كان المتواجد في المدينة وكان ابنه محمد متعلق به ، اذ أصبح فيه يستطيع الوقوف على قدميه، فله ذكرى جميلة بهذا الحي مرتبطة بابنه محمد: "وفي حي البحرية ابنك محمد صار يقف على قدميه ويحب الخروج معك إلى الزقاق المجاور"[3] .

ويجد فيه خويا دحمان راحته، فيقضي معظم وقته مع أصحابه وأحبته يرتشف القهوة ويتبادلون أطراف الحديث: "وتتناول قهوتك مع الأحباب في حي البحرية"[4] .

ثم يذكر "حي باب الوادي"، وهو مكان يسكنه معظم الإرهابيين الفرنسيين، وهو المكان الذي كان يتمنى "خويا دحمان" أن يفجره بالقنابل لقتل أولئك الفرنسيين، فهذا الحي أصبح مكروها ومنبوذا بسبب سكانه من المحليين: "معظم أفراد المنظمة الإرهابية الفرنسية السرية يسكنون حي باب الوادي، تمنيت أن لو كان بين يديك مدفع هاون فتقنبلهم طيلة أربع وعشرين سنة"[5]، فهذا الحي أصبح محرما على الجزائريين ومكان ممنوع التجوال فيه، فقد كانوا يقتلون كل من يدخل هذا الحي، فقد ساد فيه الرعب والخوف والتوتر الذي سببه الإرهابيين: "وهو يصطادون بمسدساتهم وبنادقهم كل إنسان يضع قدميه في حي من أحيائهم"[6] "خويا دحمان" كان يتقاسم ويشارك أحزانه وأفراحه مع أفراد وسكان هذا الحي، فكانوا يفرحون عند سماع شيء لصالح الثورة الجزائرية

[1] الرواية، ص62.

[2] الرواية، ص65-66.

[3] الرواية، ص81.

[4] الرواية، ص93.

[5] الرواية، ص87.

[6] الرواية، ص90.

وانتصاراتها، ويحزنون عند فقدان ابن من أبنائها: "كنت حزينا تلك العشية مثل جيرانك وأبناء حيك تماما"[1]

مما سبق نستنتج أن الحي في مدينة سيدي عبد الرحمن كان يتردد اليه خويا دحمان فبفضل هذا المكان يستطيع البطل التعرف على مختلف الأخبار والأحداث التي تجري في المدينة وخاصة ما يتعلق بالسياسة والمقاومة الوطنية فهو بذلك مقر التجمعات السياسية التي كانت تقام في مقاهي الحي، كما أن حضور الحي في مدينة سيدي عبد الرحمن دال على وجود حركة فعالة ونشاط في هذه المدينة، وذلك من خلال انتقال اهل المدينة اليه فقد أعطى للمدينة مكانة بين المدن الأخرى، كما أنه مكان لدراسة أمور وشؤون مدينة سيدي عبد الرحمن، لذلك فهو يعكس ثقافة أهل الدينة وأفكارهم ونمط عيشهم فيها، كما أن هذا الحي جعل المدينة تكشف عن الصورة الاجتماعية والفكرية لسكان هذه المدينة، وكان خويا دحمان يتمنى قتل الارهاب الذي نشر الرعب في الاحياء الموجودة في بلاد سيدي عبد الرحمن، فقد أثار الرعب في نفوس أهل المدينة، كما وفر للمدينة وأهلها خدمات متعددة وذلك بما يحتوي عليه من محلات ومقاهي وهذا يجعل الناس يقصدونها ويتعلقون بها لما وفر لهم الحي من خدمات .

4- الميناء:

تحتوي مدينة سيدي عبد الرحمن على العديد من الموانئ وهذا جعلها مدينة اقتصادية لما يوفره الميناء من خدمات لمن يقصده، والسفن التي ترسو به جعلت المدينة معروفة ومحبوبة لدى زائريها ومرتبطين بها، .وهو مكان مفتوح، ونجد الراوي قد ذكر عدة موانئ ذهب إليها أو إحدى السفن التي كان على متنها رست بها، ومن هذه الموانئ نجد "ميناء الجزائر"، "**ميناء هايفونغ**" "**ميناء أنفير**"، "**ميناء هوستون**"، "**ميناء ليفربول**"، "**ميناء وهران**" .

فنجد الشخصيات لها أفراح كما لها أحزان بهذه الموانئ، فمثلا "**ميناء الجزائر**" نجد أن "خويا دحمان" مرتبط به، لأنه ينتظر فيه وصول ابنه محمد فهو يتفقد هذا الميناء من وقت لآخر فابنه على متن السفينة التي سوف ترسوا بهذا المكان: "سترسو السفينة بميناء الجزائر مساء اليوم وستتأكد من أنه عاد بمفرده إلى وطنه"[2] .

كما نجده مرتبط أيضا بالميناء منذ الصغر، فقد كان يتشاجر فيه مع بعض إخوته من الجزائريين أحيانا واحيانا أخرى مع الإيطاليين والإسبان: "من المعروف عنك أنك كنت تتشاجر من

[1] الرواية، ص91.

[2] الرواية، ص07.

حين لآخر في قلب القصبة أو في أطراف الميناء"[1]، كما أنه المكان الذي كان يعمل به ليكسب لقمة عيشه، في وقت كان الميناء مزدحم بالعساكر الأمريكيين: "ما الذي كان في إمكانك أن تفعله لكي تنتزع لقمة عيشك يا خويا دحمان"[2]، فقد كان يشتري لهم زجاجات الخمر، ويحصل بالمقابل على قطع الصابون والشوكولاتة وغير ذلك: "هل تتذكر قطعة الشكولاتة التي حصلت عليها من أحد العساكر الأمريكيين"[3]، كما نجد الميناء للقاء الذي جرى بين خويا دحمان وزعيم المهربين الذي رفض العمل معهم، فهو لقاء من أجل تصفية الحسابات: "مع زعيم المهربين نفسه، ضربت له موعدا بالقرب من منارة الميناء"[4].

كما نجد هذا الميناء مرتبط بوالد خويا دحمان، فهذا المكان كان منطلق سفراته، وخاصة سفرته إلى أوروبا، عن طريق سفينة رست في هذا الميناء، وقد جلب هذا الحدث البهجة والسعادة إلى قلب الأب الطيار: "وإذا بسفينة ضخمة ترسوا بالميناء، استفسر عنها وعن وجهتها، فقيل له إنها تقوم بربط أوروبا بالهند الصينية"[5]، ثم نجد الراوي يذكر "**ميناء هايفونغ**" التي رست فيه السفينة التي انطلقت من ميناء الجزائر إلى هذا الميناء والتي على متنها والد خويا دحمان، وخلال هذه الرحلة أصيب بمرض، وكاد يقضي عليه هذا المرض فلم يكن يعلم ما ينتظره: "واضطر طبيب السفينة إلى تقييده في جوف السفينة حتى يكمل بسلام"[6]، لذلك نجده قد مر بوقت عصيب في هذا الميناء، حتى وصلت الدرجة إلى ضربه دون أن يحرك ساكنا من طرف ضابط فرنسي .

كما أنه نجا من الموت من طرف المناضلون الفيتناميون الذين خطفوا هذا الضابط لقتله: "ما أسرع ما عادوا به من ميناء هايفونغ سالما أمنا"[7]، "أنت ولدت في العام الذي نجا فيه والدك من الذبح في أقاصي الهند الصينية".[8]

[1] الرواية، ص22.
[2] الرواية، ص31.
[3] الرواية، ص34.
[4] الرواية، ص50.
[5] الرواية، ص18.
[6] الرواية، ص19.
[7] الرواية، ص20.
[8] الرواية، ص20.

كما ذكر "ميناء أنقير" الذي ذهب إليه خويا دحمان: "انطلقت بك السفينة نحو ميناء أنفير حيث شحنت القطن والشعير"[1]، فقد كانت تجربة فريدة من نوعها، لأنه عبر بذلك المحيط الأطلسي وكان في قمة السعادة بهذه الرحلة.

ثم نجد "**ميناء هوستون**" هذا المكان الذي لم يلق خويا دحمان الترحيب من طرف أهله، فقد لقي التمييز العنصري والطرد وحبسه في السفينة إلى حين مغادرة هذا الميناء: "كان متشددا في عنصريته عندما أبصر بالمارتنيكي الزنجي إلى جانبك أمركما بمغادرة المكان فورا"[2] "وأخدوا وعدا من قائد السفينة بألا يسمح لكما بالخروج منها مرة ثانية"[3]، وعند وصول هذه السفينة إلى "ميناء وهران" نشب شجار بين صديق خويا دحمان والبحاران الفرنسيان، وقد كان خويا دحمان ينتظر هذا الشجار بفارغ الصبر لكي يفرغ غليله الذي كان يحمله اتجاههما: "وهو ذلك العملاق الجبار يمسك بقضبان الشواء وينهال عليهما دون رحمة أو شفقة"[4] .

ثم يذكر الراوي "ميناء ليفربول" الذي كان خويا دحمان على ظهر سفينة بهذا الميناء، فوصله أجمل خبر لطالما كان يتمنى حدوثه وسماعه، وهو نبأ استقلال بلاده الجزائر وأراد أن يغادر هذه السفينة وهذا المكان، لكن قائدها لم يسمح له بذلك فاضطر خويا دحمان إلى القفز من تلك السفينة، فانتابه شعور بالندم والحصرة لأنه بعيد عن الجزائر: "تمنيت تلك اللحظات القصار أن لو كنت في الجزائر ما أشد ندمك... يا خويا دحمان وظللت تتحرى للعودة بأسرع ما يمكن إلى دارك"[5]، ووسط فرحة الجزائريين بهذا الحدث مات العشرات من العمال بميناء الجزائر فأصيبت البلاد بالحزن والأسى لذلك، لكن من جهة كان الفرح كامنا في النفوس باقتراب يوم الاستقلال.

مما سبق نستنتج أن الميناء أحد مكونات مدينة سيدي عبد الرحمن وقد جعلها مقصد لسياح والتجار، وهو مكان مفتوح وهذا المكان كان بالنسبة لخويا دحمان ولشخصيات أخرى في الرواية مكان جلب للعديد من أهل المدينة الكثير من الفرح، كما جلب للبعض الآخر الحزن، وهو المكان الذي سترسو فيه سفينة ابنه محمد العائد من بلاد الغربة الى مدينة سيدي عبد الرحمن، والمتشوق لرؤيته .

---

[1] الرواية، ص75.

[2] الرواية، ص77.

[3] الرواية، ص77.

[4] الرواية، ص78.

[5] الرواية، ص94.

كما كان مكانا للعمل وكسب الرزق للأهل المدينة أو لغير أهلها و الانطلاق في الرحلات وأحيانا أخرى موت الكثير من الجزائريين فيه بسبب الاستعمار والكثير من المناوشات والمشاجرات التي كانت تحدث هناك، كما أن خويا دحمان تعرض للإهانة هو وصديقه في إحدى الموانئ، كما أن الميناء أعطى لمدينة سيدي عبد الرحمن طابع سياحي واقتصادي بامتياز.

5- الشارع:

يعتبر الشارع أحد مكونات ويوجد العديد من الشوارع في هذه المدينة، وقد جعل مدينة سيدي عبد الرحمن تمتاز بالإِتساع والمساحة الواسعة، ووجود الشوارع جعل المدينة أكثر نشاط وحيوية أكسبها خاصية الإِنفتاح، وهو مكان مفتوح أيضا فنجده في الرواية يتميز بالعرض،وقد أعطى لمدينة سيدي عبد الرحمن هذه الصفة، فالراوي لا يذكره بصفة دائمة، بل بصفة متقطعة، وذكر عدة شوارع أيضا في المدينة، فالشخصيات تجد سهولة التنقل فيه، فهذا الشارع مكان للتظاهرات وإبداء الرأي والتجمعات السياسية: "وينزل إلى الشارع العريض المطل على خليج الجزائر"[1]، وهو شارع مطل على خليج الجزائر ومطل على حي باب الوادي، ومن خلال يتم النظر إلى البحر: "وجدته يعلق ميدالياته على صدره ويخرج إلى الشوارع المجاورة".[2]

كما أنه مكان حدث فيه الكثير من المعارك بالرصاص وخاصة المعركة التي حدثت لخويا دحمان كانت في الشارع، فاشتبه به على أنه مشارك مع الذين كانوا يطلقون الرصاص، فأصيب بضربة على رأسه من طرف أربعة عساكر: "وإن هي إلا بضع دقائق حتى أقفل الشارع من أولئك لفتيان لتجد نفسك وحيدا، وإذا بالعساكر ينهال عليك بالمسدس على قفاك"[3]

كما ذكر الراوي شوارع الجزائر التي كانت مكانا للاحتجاجات على المستعمر مطالبين بالاستقلال لمدينتهم وللوطن ككل، وإبداء الرأي في مختلف حكام البلاد، وكان خويا دحمان يشارك فيها: "ها هو كما عرفته دائما وأبدا يخرج إلى الشوارع ويصيح ساعات وساعات"[4]، "وأنت يا خويا دحمان انطلقت في شوارع الجزائر ضمن القافلة"[5]

كما ذكر الراوي الشارع الخامس لجسر بروكلين، وهو موجود بنيويورك التي لطالما كان خويا دحمان يتمنى الوصول إليه، فقام ابنه محمد بوصفه له عن طريق الرسالة التي وصلت إلى أبيه

[1] الرواية، ص03.

[2] الرواية، ص56.

[3] الرواية، ص88.

[4] الرواية، ص102.

[5] الرواية، ص102.

فهو مكان بارد والثلج يغطي كل البنايات فيظل هذا الشتاء طوال العام: "الشارع الخامس جسر بروكلين البرد الشديد الذي أتاح تلك المدينة"[1]

كما أن الشارع مطل على المرسى، فكان خويا دحمان يجعله مكانا للراحة والاستجمام بينما يصل ابنه محمد العائد من بلاد الغربة: "يا خويا دحمان استرح هنا على الشارع المطل على المرسى"[2]

مما ذكر نستنتج أن مدينة سيدي عبد الرحمن تحتوي على الشارع وهو مكان مفتوح، تستطيع الشخصيات التنقل فيه بكل حرية داخل المدينة ، كما أنه مكان للمظاهرات والاحتجاجات ضد الاستعمار الذي كان يسيطر على المدينة وإبداء الرأي، والراوي ذكر الكثير من الأحداث التي جرت في هذه المدينة وبالضبط في الشارع، وهذا الشارع كان مطل على كثير من الأماكن مثل البحر والحي التي توجد في المدينة، كما نجد أهذا المكان أكسب المدينة نشاط وحيوية .

2- الأماكن المغلقة في المدينة :

وتوجد العديد من الأماكن المغلقة في مدينة سيدي عبد الرحمن ونقصد مثل البيت السجن،المقهى، وغيرها، ونقصد بالأماكن المغلقة أماكن الإقامة الاختيارية كالمنزل أو أماكن الإقامة الجبرية كالسجن[3]، وهذه الأماكن وغيرها يشكلها الإنسان حسب أفكاره والشكل الهندسي الذي يريده ويناسب تطور عصره، تتميز بضيق في حدودها وسنحاول تسليط الضوء على هذه الأمكنة المغلقة في هذه الرواية والتي توجد في مدينة سيدي عبد الرحمن وهي تمثل جزء أساسي من مكوناتها ، ومن بين هذه الأماكن المتواجدة في المدينة نجد:**البيت، السجن، المستشفى المقهى**، وهي جزء لا يتجزأ من مدينة سيدي عبد الرحمن .

1-البيت:

ونجده في المدينة كما نجده في القرية ولكن بهيئة وشكل مختلف، وتوجد الكثير من البيوت في مدينة سيدي عبد الرحمن، ونجد الكاتب يركز على بيت خويا دحمان المتواجد في هذه المدينة، فهذا البيت أعطى لنا صورة الطابع المعماري للمدينة، والأوضاع التي تعيشها المدينة ،فهي تحافظ على تراث اجدادها من خلال شكل البيوت ،وذلك جعلها محل استقطاب وانجذاب للآخرين والبيت زاد من جمال المدينة، يعد البيت فضاءا مكانيا في حياة الإنسان، إذ يمنحه

[1] الرواية، ص139.

[2] الرواية، ص153.

[3] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص44.

شعورا بالطمأنينة والراحة بعيدا عن العالم الخارجي، وقد كان حضوره بصورة واضحة في الرواية وهو مكان مغلق ومكان للراحة والهدوء بالنسبة لخويا دحمان، فهو مرتبط به أشد ارتباط فهو يذهب للعمل في الصيد صباحا ويعود إليه كل مساء: "أين غاب ذلك السلاح كله مع أنهم رأوك رؤية العين وأنت عائد إلى الدار ذات مساء تحمله في قفة الصيد".[1]

كما أن بيته أصبح وكأنه بحر، فقد أحضر كل الأشياء التي يستعملها في البحر إلى هذا البيت: "أختك حنيفة تطلب منك الآن أن تفتح النافذة على سعتها لكي تتسرب بعض البرودة إلى البيت وتخرج منه رائحة السمك والبحر"[2]، كما أنه يتناول في هذا البيت أشهى الأطباق والأطعمة على يدي أخته حنيفة، فهما فقط من كانا يسكنا في هذا البيت: "أين يمكنك أن تجد مثل هذه الطبخة الشهية، اللهم سوى في بيتك وعلى يدي أختك حنيفة؟"[3]

كما أن هذه الدار هي التي أوته هو وعائلته وتربى بها هو وجده وأبوه، فهي دار عتيقة تعود إلى زمن الأتراك وهي مبنية بمواد من الطين والخشب وهذا يعطي للمدينة شكل هندسي قديم ولكنه جميل في نفس الوقت وهذا يذل على أن المدينة محافظة على الشكل المعماري القديم، و الراوي لم يصف هذا البيت وصفا دقيقا بل اقتصر بقوله أنها قديم التكوين، وفيه سرير لخويا دحمان: "أشخص بأنظارك في السقف سترى أن عوارض السقف الخشبية ما تزال هي هي، الجير الذي يغطيها ما زال على حاله، يقال إن عمر هذه الدار حوالي ثلاثة قرون، إنها تعود إلى زمن الأتراك"[4]، كما أن لخويا دحمان ذكريات جميلة في هذا البيت فهو المكان الذي تزوج فيه وولد فيه ابنه محمد وعاش مع زوجته مريم أجمل أيام حياته التي كانت مليئة بالسعادة والهناء والهدوء: "دخلت مريم دارك وأمضت معك بضع سنوات ثم انتقلت إلى رحمة الله بعد ولادة ابنك".[5]

كما أن هذا البيت أواه وحماه في مرضه، وفي هذا المنزل راديو أنساه هم المرض من خلال الأخبار التي كانت تبث فيه من كل مكان: "أمضيت أياما وأياما يا خويا دحمان لم تغادر خلالها

[1] الرواية، ص05.

[2] الرواية، ص08.

[3] الرواية، ص12.

[4] الرواية، ص14.

[5] الرواية، ص61.

الدار، المرض تركك طريح الفراش"[1]، كما أنه من نافدة البيت يستطيع رؤية المدينة : "كنت تطل من هذه النافدة التي هي قبالتك الآن وتتأمل القصبة وهي تنزل دارة دارة إلى أن تبلغ المرسى".[2]

مما سبق نستنتج أن البيت من أحد مكونات مدينة سيدي عبد الرحمن، وهو مكان مغلق وقد أعطى صورة جميلة للمدينة، وأكسبها طابع معماري مميز بسبب شكله القديم المتميز فهو بذلك أعطى للمدينة صفة الإنفراد، كما صور لنا الحالة التي تمر بها المدينة فهو يعكس الحياة في هذه المدينة، وتعلق خويا دحمان بهذا البيت جعله أكثر تعلقا بمدينته سيدي عبد الرحمن فهو لم يستطع أن يستبدلها بأي مدينة أخرى، وهذا يعد مكسبا لهذه المدينة .

2- السجن:

وهو مكان موجود في مدينة سيدي عبد الرحمن، وهناك الكثير من السجون الموجودة في المدينة وهو يكسب المدينة الكره والحقد فهو مكان مذموم من طرف أهل المدينة فهو مكان للعقاب وقد شوه صورة المدينة ونفى وجود الأمن والطمأنينة في مدينة سيدي عبد الرحمن وجعلها مدينة منغلقة على نفسها، وهو مكان مغلق، فإذا كان الإنسان يقيم في البيت بمحض إرادته، فالسجن يقيم فيه مجبرا، وهو الذي يشكل عالما مناقضا لعالم الحرية، تنقل إليه شخصيات مجبرة ومكرهة تاركة وراءها فضاء الخارج المفتوح إلى عالم آخر مغلق، فتنطوي على نفسها بعدما كانت منفتحة على المجتمع والوجود لتبدأ رحلة العذاب، وهو يرمز للحزن والكآبة والعذاب والعقاب والعزلة والإجرام، وهذا السجن هو مكان ملعون من طرف الجميع: "ويصبح الواحد منهم في سجن لامبيز الملعون"[3] .

وهو المكان الذي سجن فيه والد خويا دحمان لمدة عام كامل، فقد مرت على رأسه مصائب كثيرة من الرجال الذين دخلوا إليه، نعم لامبيز حيث مات الألاف من الرجال".[4]، فقبل أن يقذف إلى ذلك السجن اللعين، أبصر العديد من الناس من رجال ونساء واقفين على جانبي الطريق يترجوه أن يعطيهم ثيابه، قبل دخوله إلى "**لامبيز**" وكان ينظر إليهم، وهو لا يفهم ماذا يقصدون من وراء هذا، وعندما أغلقت عليه أبواب ذلك السجن اللعين أدرك ماذا يقصدونه، فقد أحس وكأن الموت في انتظاره، فإما الموت فيه أو الخروج منه وهو مصاب بأمراض معدية كالسل، والجنون

[1] الرواية، ص83.

[2] الرواية، ص32.

[3] الرواية، ص30.

[4] الرواية، ص25.

وغيرها من الأمراض الفتاكة: "وخيل إليه في لحظة من اللحظات أنه قادم فعلا من دنيا أخرى لشدة ما التبس عليه الأمر، وعندما أغلقت أبواب ذلك السجن العتيد عرف السبب"[1]،فهو إما أن يموت داخل السجن أو يخرج منه في أتعس حال: السل، داء المفاصل، الجنون"[2] فوالد خويا دحمان تجرع المر والعلقم في ذلك السجن، الجوع من جهة وسوء المعاملة من جهة والأمراض المحيطة به من جهة أخرى: "يا خويا دحمان تجرع والدك المر والعلقم في ذلك السجن الرهيب أنت ما زلت تذكر أن الناس كانوا يصفون الإنسان الجائع بأنه خارج من لامبيز".[3]

كما نجد الراوي يذكر "سجن الحراش" المتواجد في مدينة سيدي عبد الرحمن الذي دخل إليه خويا دحمان، وقد أمضى فيه أسبوعا كاملا وهو يتلقى أسوأ معاملة من العساكر من ضرب وشتم: "أسبوع كامل وأنت في سجن الحراش تتقاذفك الحيطان وركلات العساكر التافهين"[4]

ثم نجد "معتقل تيفيشون" الذي أمضى فيه خويا دحمان عاما كاملا، وتفكيره دائما ينصب على ابنه محمد وأخته حنيفة، كيف يا تراهما يعيشان "عام يا خويا دحمان عام كامل في ذلك المعتقل الجهنمي"[5]، وقد قامت أخته بزيارته في المعتقل مما خفف عنه قليلا: "وبعد عام كامل يا خويا دحمان، خرجت من المعتقل"[6]، "تذكر جيدا يوم خروجك من معتقل(تيفيشون) أصحابك من السجناء يودعونك توديعا حارا"[7]، فخويا دحمان أمضى عاما من التعاسة والشقاء، لكن رغم ذلك كان متمسك بالحياة، وكون أصدقاء.

مما سبق نستنتج أن السجن أحد مكونات مدينة سيدي عبد الرحمن، فقد جعلها مكان منغلق على نفسه، وقد شوه صورة المدينة وهو مكان موحش ورهيب في هذه الرواية، فقد أمضى الأب فيه عاما من البؤس والشقاء والمعاناة، وأمضى الابن كذلك عاما من الحزن والحسرة والعذاب، فقد كانت تجربة قاسية لكليهما، فقد تعرضا لكل أساليب القهر والذل، وسلبت فيه حريتهما ونجد الكاتب ركز على هذا المكان وعلى المعاناة التي يعيشها السجين داخله، كما أن هذا السجن لم يكن

[1] الرواية، ص26.
[2] الرواية، ص26.
[3] الرواية، ص27.
[4] الرواية، ص70.
[5] الرواية، ص70.
[6] الرواية، ص73.
[7] الرواية، ص73.

لمعاقبة المجرمين فقط، بل كان لإسكات المناضلين والرافضين للأوضاع التي وصلت إليها المدينة خلال مرحلة الاستعمار التي سيطر عليها.

3- المستشفى:

وهو جزء من مدينة سيدي عبد الرحمن ونجده في المدينة ولا نجده في القرية فهي تحتوي على مستوصفات صغيرة بينما المستشفى الموجود في المدينة فهو واسع وكبير وعلى هذا فقد أكسب المدينة الإِتساع، ويقدم خدمات مثل العلاج الراحة من الأمراض، وهذا يكسبها أهمية وقيمة وذهاب الناس إليه يجعل الحركة والنشاط في المدينة، فيتعلقون بها، وهو مكان مغلق، وفي الواقع هو مكان للعلاج وتذهب إليه الشخصيات من أجل الاستشفاء من الأمراض التي حلت بهم، ونجد أن هذا المكان لم يرد كثيرا في هذه الرواية فنجد خويا دحمان ذهب إليه من أجل أن يداوي جرحه إثر العراك الذي جرى بينه وبين رئيس العصابة، ولكن من وراء هذا الشجار أصبحوا أصدقاء فهو الذي نقله إلى المستشفى، وذهب لزيارته عندما مكث فيه عدة أيام: "الندبة ما زالت في مكانها، خاطوا جرحك في المستشفى"[1]، "سارع مع أفراد عصابته إلى نقلك إلى المستشفى"[2].

كما نقل خويا دحمان إلى المستشفى مرة أخرى إثر التعذيب الذي تلقاه من طرف رجال الأمن في حي القصبة: "أحسست بالموت في طريقه إليك، بل شعرت أنك فارقت الحياة، ثم ها أنت ذا تستفيق لتجد نفسك في المستشفى"[3]، كما نجد أحد الشخصيات وهو العسكري "الكابران" الذي أصيب هو الآخر أثناء الحرب إثر انفجار قنبلة أصابته في رأسه: "ولم يفق من غيبوبته إلا في المستشفى وهم يخيطون جرحه"[4] وقد نقل كذلك البحاران الفرنسيان إلى المستشفى، وذلك لتعرضهما لطعنات من طرف صديق "خويا دحمان": "سيارة الإسعاف انطلقت بهما من الميناء صوب المستشفى وهما بين الحياة والموت"[5]، كما نجد أن الراوي ذكرنا في هذه الرواية إصابة خويا دحمان خلال سفره إلى إفريقيا الجنوبية بمرض بلوسنتاريا، كاد أن يقتله بسبب سوء الأطعمة التي كان يتناولها، فنقل إلى المستشفى وهو يحس بأن الموت قريب منه: "مرض مستشفى تلك المدينة البحرية حيث نزلت أحسست أن الموت قريب منك"[6]، مما ألزمه البقاء في المستشفى عدة أيام

[1] الرواية، ص50.

[2] الرواية، ص52.

[3] الرواية، ص66.

[4] الرواية، ص56.

[5] الرواية، ص78.

[6] الرواية، ص82.

كانت بالنسبة إليه أياما تعيسة وصعبة بسبب ذلك المرض اللعين، كما نجد شخصية أخرى دخلت المستشفى وهي "محمد خميسي"، وزير الخارجية، نتيجة تعرضه لطلقة نارية مما أدى به إلى المكوث في المستشفى مدة طويلة، إلى حين وفاته والمستشفى جعل المدينة محصنة من انتشار الأمراض، ويسهر على راحة أهل المدينة، ويوفر لهم العمل دون اللجوء إلى مدن أخرى وهذا أعطى للمدينة أهمية وقيمة .

مما سبق نستنتج أن المستشفى مكان مغلق، ومدينة عبد الرحمن يوجد بها هذا المكان ذهبت إليه العديد من الشخصيات في هذه الرواية فنجد أن خويا دحمان قد زار ومكث في هذا المكان مرات عديدة كانت قاسية عليه بسبب عزلته عن العالم الخارجي، كما أنه مكان يقصده الناس بغية العلاج، والزيارة تكون إليه بصفة مؤقتة وليست دائمة وقد أعطى للمدينة قيمة بسبس خدماته المختلفة التي يقدمها لعامة الناس .

4- المقهى:

وهو مكان موجود في مدينة سيدي عبد الرحمن وتوجد الكثير من المقاهي في هذه المدينة ووجودها دال على وجود الحركة والنشاط والاكتظاظ وذلك، من خلال انتقال الناس إليها، وهو مكان موجود في المدينة والقرية لكن بشكل وخدمات مختلفة وقد جلب للمدينة أهمية كبيرة من خلال أنه مكان لمناقشة شؤون هذه المدينة وجعلها مقصدا للكثير من الأشخاص، وهذه سيجعلهم متعلقين بها وهو مكان مغلق، محدود يقصده الناس من أجل الترفيه عن النفس، ولقاء الأحبة والأصدقاء وتبادل أطراف الحديث في مختلف المواضيع، كما أنه مكان لتناول القهوة ومشروبات أخرى، فهو يقدم خدمات متنوعة .

كما تكون مكان للتسلية والراحة وقضاء الوقت: "تخرج إلى عرض البحر وتبقى في الدار تتسكع في مقهى من المقاهي"[1]، والراوي قد ذكر المقهى في هذه الرواية بنسبة معينة، فنجد زوج أخت "خويا دحمان" كثير التردد على المقاهي وكثير السهرات فيها مما أدى إلى إصابته بمرض السل: "ولكثرة سهراته أصيب بداء السل وانتقل إلى رحمة الله"[2]، وخويا دحمان كان كذلك من الأشخاص الذين يترددون إلى المقهى، فكان يخبر الناس بما يحدث في بلادهم وذلك من خلال

[1] الرواية، ص150.

[2] الرواية، ص28.

إطلاعه على الصحف: "وكنت أنت تتابع كل ما يجري حواليك، تقرأ الصحف، تشرح لأصحابك في المقاهي ما غمض من أخبارها"[1] .

كما نجد أنها مكان للشجار وتصفية الحسابات حيث وقع شجار بين عمي أحمد الطاهر وشخص آخر في هذا المقهى، كانت نتيجته موت الشخص ودخول عمي أحمد الطاهر السجن: "تشاجر مع شخص في مقهى من المقاهي، وهو في طريقه إلى عمله"[2]، وفي الوقت ذاته كانت المقهى مكانا للتجمعات السياسية وإبداء الرأي: "وعبرت عن رأيك هذا من خلال سهرة رمضانية في مقهى صغير من مقاهي حي القصبة"[3]

مع العلم أنها كانت كذلك مكانا للتجسس على السياسيين ونقل الأخبار إلى المستعمر: "ومن المؤكد أن أحد المتعاونين مع رجال الشرطة كان معكم في تلك القهوة"[4]، والمقهى لكثرة التجمعات فيها كانت السبيل للكثير من الناس للسؤال عن الغير، وخاصة حنيفة التي سألت وبحثت عن وجهة أخيها خويا دحمان: "وسأل أهل البحر والخضارين وأصحاب المقاهي والأحباب والأصدقاء"[5]، وهذه المقهى كانت تحتوي على جهاز تلفزيون الذي من خلاله يستمعون للأخبار السياسية وأحوال البلاد: "وأنت تتفرج على الخطاب في التلفزيون في مقهى من المقاهي"[6]

مما سبق نستنتج أن المقهى مكان مغلق في مدينة سيدي عبد الرحمن، وهي في هذه الرواية كانت مكانا للتجمعات السياسية وإبداء الرأي في السياسة وأحوال المدينة، وقضاء غايات مختلفة كالترفيه والاطلاع على مختلف الأخبار الوطنية والعالمية، كما نجد الراوي يذكر المقهى بصفة الجمع مقاهي وهذا دليل على وجود عدة مقاهي في هذه المدينة، وهي مكان للقاء الأصدقاء والأحباب والتعارف، وجعلت الناس يتعرفون على أخبارها .

5- المدرسة:

لا توجد الكثير من المدارس في مدينة عبد الرحمن بسبب الاستعمار، ونجدها في المدينة كما أنها موجودة في القرية، لكن بطريقة مغايرة وقد أكسبت المدينة أهمية بالغة، من خلال تعليم

---

[1] الرواية، ص37.

[2] الرواية، ص47.

[3] الرواية، ص57.

[4] الرواية، ص123 .

[5] الرواية، ص66.

[6] الرواية، ص131.

أجيالا تكون في المستقبل خير حصين لها بعلمهم فهي التي تحفز أهل المدينة على اكتساب المعرفة التي ستطرد وتخرج المستعمر من مدينتهم سيدي عبد الرحمن، وتعتبر مكان مغلق . .

كما هو معروف أن المدرسة مكان لكسب المعرفة والخبرة والتعليم، وقد تناول مرزاق بقطاش في هذه الرواية المدرسة، لكن بنسبة ضئيلة جدا، فالمدرسة كانت في ذلك الوقت ظاهريا لإبراز وجذب الأنظار على فرنسا بأنها صانعة الحضارة وذلك لقيامها بتعليم الجزائريين، ولكن باطنيا كانت تعلمهم بعض الأمور اللغوية والحسابية فقط، فغايتها هي إبقاء الجزائريين فلاحا وحمالا في الأرصفة وغيرها من الأعمال التي لا تشكل خطرا على المستعمر حتى لا يقاوم ضده.

فنجد الروائي يتطرق إلى ذكرها عند ذهاب خويا دحمان إليها وانتزاع الشهادة الابتدائية بجدارة وقد كان هذا فخرا لأهله وجيرانه وأهل مدينته، والجزائر ككل: "إلى أن انتزعت شهادة النهاية الدراسية التي كانت تعطى لأهل البلد"[1] .

وذكر الراوي مدرسة "**ساروي**" في حي سوسطار، وهي المدرسة التي قدم فيها خويا دحمان الامتحان ونجح فيه بكل جدارة "كانت مدرسة ساروي(...) طردوا من كان هناك حتى تستطيع أن تجيب على الأسئلة"[2] .

فالدراسة كانت محدودة، وما كان يكتسبه الطلاب كان محدودا، فقد كان يدرسون ويتعلمون وفق ما يحدده الفرنسيون من مواضيع ولغة ومنهج أخذوا تعلم المعارف والعلوم، فتعليمهم كان محدودا: "كل ما فعلته في هذا المضمار هو أنك كنت تكتفي بقراءة الجريدة، وتتوقف عند هذا الحد"[3]، "ما كان المستوى الدراسي عاليا، وكان ذلك عن قصد إذ أن السلطات الاستعمارية ما كانت تسمح ببروز جيل من المستنيرين من أبناء وطنك هذا"[4] .

كما أن ذهاب خويا دحمان إلى المدرسة كانت هي المكان والطريقة الوحيدة التي كان والده المطيار يأخذ ويتعرف ويستفسر منه عن أخبار العائلة: "كان والدك يصطحبك إلى المدرسة من يدري، فلعله كان يعول عليك في الاضطلاع بشؤون الأسرة"[5] .

ثم نجد ابن خويا دحمان يدخل إلى المدرسة، وقد كان لهذا أثر بليغ على نفسية خويا دحمان فقد شعر وكأن أيام الحرب والبؤس والشقاء قد ذهبت وأمضت بغير رجعة بمجرد ذهابه إلى

[1] الرواية، ص11.

[2] الرواية، ص31.

[3] الرواية، ص12.

[4] الرواية، ص28–29.

[5] الرواية، ص21.

المدرسة: "ودخل ابنك محمد المدرسة، ياما بكيت ذلك اليوم، شعرت أن البؤس ولى إلى غير رجعة عن هذا البلد"[1]، فهو سوف يتعلم تاريخ أجداده، ويتعرف على كل أبطال وشهداء الجزائر، فهو مثال لجيل المستقبل، وقد كان والده يتتبع مراحل دراسته: "استمسكت بكلمتك هذه ورحت تتابع ابنك وهو يدرج في دراسته الابتدائية"[2]، فهذا جلب له الافتخار ورفع الرأس فيه كما نجد تعرض الابن إلى السخرية من زملائه في المدرسة، وذلك بسبب تعرض والده إلى السجن، فأخبره بأنه من اللصوص والمهربين: "لعل والدك سرق مبالغ مالية من شركة الملاحة الوطنية، أو لعله هرب بعض السجائر الأمريكية".[3]

مما سبق نستنتج أن المدرسة جزء لا يتجزأ من مدينة سيدي عبد الرحمن، وقد أعطتها أهمية بالغة بتعليم أبنائها العلم والمعرفة، وبذلك قضت على الجهل والأمية في المدينة وجعلتها ومقصدا للمتعلمين، وبفضل المدرسة استطاعوا أن يخرجوا المستعمر من المدينة وهي مكان مغلق، نجد خويا دحمان وابنه قد ذهبا إلى هذا المكان لكسب العلم والمعرفة، لكن المدرسة في وقت خويا دحمان كانت تحت سيطرة الاستعمار، فالتعليم كان محدودا، يقتصر على اكتساب اللغة وبعض الحسابات البسيطة، وذلك وفق ما يتماشى مع خطط فرنسا وما يرضيها، أما ابنه محمد فقد كانت مدرسته غير هذه، فقد تعلم أحسن تعليم، ومن خلال المدرسة تعرف على تاريخ أجداده، وهذا يجعله يتعرف على تاريخ المدينة أيضا، وكسب المعارف والعلوم المختلفة، حتى أصبح مهندس في الاعلام الآلي ويجلب الفخر لوالده وللبلاد بأسرها، ونجد كل الأمكنة الموجودة في مدينة سيدي عبد الرحمن أعطتها أهمية كبيرة من خلال ما تتوفر عليه من خدمات متنوعة.

[1] الرواية، ص105–106.

[2] الرواية، ص107.

[3] الرواية، ص124.

خاتمة

خاتمة

شكلت المدينة هاجسا كبيرا عند الروائيين، لذا كانت تجلياتها في كثير من الموضوعات التي تطرقت إليها الرواية ومنها الرواية الجزائرية، وقد وظف مرزاق بقطاش المدينة باعتبارها مكانا في روايته خويا دحمان، وقد قمنا بدراسة تجليات المدينة في رواية خويا دحمان لمرزاق بقطاش، وخلصنا إلى النتائج التالية:

1- المدينة في رواية خويا دحمان هي مدينة يطبعها الهدوء والراحة، كما يطبعها الصخب والضجيج والقلق والصراع من أجل الاستمرار والعيش بكل حرية دون سلطة المستعمر.

2- تدور أحداث الرواية في مدينة سيدي عبد الرحمان التي هي بمثابة الموطن الذي يقطنه سكانها، ولهذا نجد تعلق الشخصيات بها واضح بشكل كبير وخاصة خويا دحمان، وذلك لما تتوفر عليه من شوارع وموانئ، وبيوت ومقاهي وغير ذلك من الأمكنة.

3- المدينة في رواية خويا دحمان تعرضت للتغيير في كثير من معالمها نتيجة الاستعمار وفقدت الكثير من القيم الإنسانية كالإخاء والمحبة والتكافل، الذي يود الروائي الرجوع إليها.

4- المدينة في هذه الرواية حددت هوية المكان وبينت عناصره وكذا دلالته الوظيفية والرمزية مثل البحر الذي هو مكان للعمل كما هو للراحة والهدوء، وقامت المدينة بتحديد العلاقات الموجودة بين هذه الأمكنة والشخصيات داخل هذه المدينة.

5- الأمكنة الموجودة في مدينة سيدي عبد الرحمان خدمت الرواية وأعطتها أهمية وقيمة، فقد أكسبتها الحركة والنشاط وحرية التنقل، فبدون هذه الأمكنة التي تمتاز بالاتساع والضيق، والدلالات لكانت الرواية جامدة وبدون حركة، وبذلك تجد الشخصيات صعوبة في الانتقال

6- المدينة في رواية خويا دحمان مكان مفتوح على الآخر بفضل الأمكنة الموجودة فيها مثل المرسى الذي ترسو فيه السفن القادمة من بقاع مختلفة، وكذلك الميناء الذي يعمل به شخص يريد ذلك، وضريح سيدي عبد الرحمان الذي يتردد إليه الناس من مختلف المدن، فهذه الأمكنة وما

خاتمة

تحمله من أهمية جعلت المدينة محل انجذاب واستقطاب الناس، كما أن المدينة كانت مستهدفة من طرف الطامعين في خيراتها مثل المستعمر الذي أراد أن يضم تلك المدينة إلى أرضه.

7- المدينة في رواية خويا دحمان فيها أماكن متفرقة داخل بلاد سيدي عبد الرحمان، فقد ذكر الراوي أماكن مغلقة كالسجن والمقهى والمدرسة وأماكن مفتوحة مثل البحر، وهذا جعل المدينة في حلة جميلة لما تحمله هذه الأماكن من خصائص ومميزات .

قائمة المصادر

والمراجع

1-المصادر:

1-مرزاق بقطاش:خويا دحمان، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2010 .

2-المراجع:

1- إبراهيم جنداري: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1، 2001.

2- إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجا (1925-1962) عاصمة الثقافة العربية، د ط، 2007.

3- أحمد منور: ملامح أدبية، دراسات في الرواية الجزائرية، دار الساحل، وزارة الثقافة د ط، 2008.

4- أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، منشورات أحلام مستغانمي، الجزائر، ط22، 2007.

5- بان البنا: الفواعل السردية، دراسة في الرواية الإسلامية المعاصرة، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ط1، 2009

6-حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990

7-حسين حمودة: الرواية والمدينة نماذج مختارة من كتاب الستينات في مصر، شركة الأمل للطباعة والنشر، د ط، 2000

8-حمادة تركي زعيتر: جماليات المكان في الشعر العباسي، كلية التربية، جامعة تكريت مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط1 2013

9-حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط3 2000

10-الأخضر الزاوي: دراسات في الأدب المقارن، صورة مدينة الجزائر العاصمة في الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال وعند ألبير كامو، دراسة فنية مقارنة، منشورات جامعة باتنة د ط، د ن .

11-رزاق إبراهيم حسن: المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد الجمهورية العراقية، د ط، 1984

12- الأزهر عطية: خط الإستواء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1989

13-إسماعيل سامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،

د ط، 2007.

14–الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ط1 2010.

15– الشريف حبيلة: الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2010.

16– صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشؤون للطباعة والنشر والتوزيع جامعة محمد خيضر، بسكرة، ط2 2009.

17– صالح ولعة: المكان ودلالته في رواية "مدن الملح" لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

18– عبد الحميد بن هدوقة: غدا يوم جديد، منشورات الأندلس، الجزائر، د ط، 1992.

19–عز الدين المناصرة: الأجناس الأدبية في ضوء الشعريات المقارنة، قراءة مونتاجيه، دار الراية والتوزيع، الأردن، عمان ط1، 2010.

20– عمر عاشور ابن الزيبان: البنية السردية عند الطيب صالح البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2010.

21– غاستون باشلار: جماليات المكان، تر غالي هيلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 1984.

22– محمد تحريشي: في الرواية والقصة والمسرح قراءة في المكونات الفنية والجمالية السردية، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، .2007

23–مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1981

3– المعاجم:

1–ابن منظور: لسان العرب ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي،ج13، دار صبح واذسوفت،بيروت، ط1، 2006 .

2– الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د ط.

4– الرسائل الجامعية:

1– ساهر علوي حسن العامري: المكان في شعر ابن زيدون رسالة ماجستير، جامعة بابل، 2008.

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ–ب
الفصل الأول: مفاهيم عامة	
أولا: مصطلحات ومفاهيم.	**4**
1–مفهوم المكان.	4
أ– لغة.	4
ب– اصطلاحا.	6–4
2–مفهوم الفضاء.	6
أ– لغة.	6
ب– اصطلاحا.	7
ثانيا: المدينة باعتبارها مكانا وفضاءا.	8
1–مفهوم المدينة.	9
أ– لغة.	10–9
ب– اصطلاحا.	11–10
2–المدينة باعتبارها مكانا.	15–11
3–المدينة باعتبارها فضاءا.	17–15
الفصل الثاني: تجليات المدينة في رواية خويا دحمان لمرزاق بقطاش.	
تجليات المدينة (بلاد سيدي عبد الرحمن)	20–19
أولا: الأماكن المفتوحة في المدينة.	20
1–البحر.	23–22
2–المرسى.	25–23

3- الحي.	25-27
4- الميناء.	27-30
5- الشارع.	30-31
ثانيا: الأماكن المغلقة في المدينة.	31
1- البيت.	31-33
2- السجن.	33-35
3- المستشفى.	35-36
4- المقهى.	36-37
5-المدرسة.	37-39
خاتمة.	41
قائمة المصادر والمراجع.	44
فهرس الموضوعات.	47